

مكتبة الجنس في حياة العرب



تأليف : جورج كدر

أبو عبدو البغل

مكتبة الجنس في حياة العرب

سقيفة حُبّى

جورج كـدر

سقيفة حُبَّى


إطلس . بيروت

مكتبة الجنس في حياة العرب

سقيفة حُبَّى

تأليف: جورج كدر

الإخراج الفني: فايز علام

تصميم الغلاف: منير الشعراني

الطبعة الأولى - 2011

ISBN: 978-9933-9086-4-5

الناشر:

أطلس للنشر والإنتاج الثقافي ش.م.م

الحمرا - الشارع الرئيسي - بناء الميزان - ط4 - ص.ب: 11452 بيروت، لبنان

هاتف: 739328 1 961 +

فاكس: 739327 1 961 +

بريد إلكتروني:

atlasbooks@gmail.com

التوزيع:

الفرات للنشر والتوزيع

شارع الحمرا - بناء رسامني

ص.ب: 6435 / 113 بيروت - لبنان

هاتف: 750054 1 961 +

فاكس: 750053 1 961 +

بريد إلكتروني:

aflurat@aflurat.com

التوزيع عبر الإنترنت:

www.aflurat.com

وكانت نساء المدينة تسمين حُبَّى «حواء أم البشر»
لأنها علمتهن ضروباً من هيئات الجماع، ولقبت
كل هيئة منها بلقب، منها: القبع والغربلة والنخير والرهز.

(الجاحظ، النيسابوري، الزمخشري، أبو هلال العسكري)

مقدمة

من هي حُبَّى المدينية؟ هل هي امرأة حقيقية أم من نسج خيال الرواة؟ وإذا كانت شخصية تاريخية فما هو الدور الذي لعبته في مجتمع المدينة/ يثرب؟.

تُحدثنا كتب الأمثال وبعض كتب الأدب في التراث الإسلامي، عن امرأة كانت تُرّضع كل طفل جديد يولد في المدينة، فاستحقت أن تلقّب بـ«حواء أم البشر». بعض مؤرخي المدينة قالوا: إنها مرضعة الخليفة عمر بن الخطاب، وقالوا: إن أشراف المدينة كان يجتمعون في سقيفة حُبَّى يسألونها وهي تجيب، وقالوا[1]: إن فتيان قريش وفتياتها كانوا يجلسون إليها فيتحدثون عندها بكل صراحة وشفافية عن أحوال الرجال والنساء وفنون النكاح، وكانت هي تجيبهم دون حرج...

ويروي ابن طيفور في «بلاغات النساء» أن فتيان المدينة، وكان بينهم ابن حُبَّى، تذاكروا يوماً في أيّ حالات الرجال أحبُّ إلى النساء أن يأخذوهن عليها، فقالوا لابن حُبَّى: ويحك! علم هذا والله عند أمك، قال: إذاً آتيكم والله بعلمه[2]. فأيُّ عِلمٍ كان عند هذه المرأة ليأخذه أهل المدينة عنها؟

تناثرت قصص حُبَّى وأخبارها في بطون كتب التراث، تارة تظهر حكيمة من حكيمات العرب، وتارة ناقلة لـ «كلام القدماء وأهل البدو»[3]، وفي أخرى

1- أنساب الأشراف، البلاذري: 218/7.

2- بلاغات النساء، ص155.

3- جوامع اللذة، من ص 35 حتى 39، ونقلها عنه العلامة الطبيب داوود الأنطاكي في النوادر من صفحة 72 إلى 76، المكتبة الثقافية، طبعة أولى 2002.

نجدها «مغنية مشهورة»[4]. بعض الرواة يجعل «حُبَّى المدينية من المغتلمات»[5]، وبعضهم يقول: إنها «كانت من كبار السحاقيات»[6]، وبعضهم رأى فيها «ماجنة»[7].

نجدها مرة تتحدث لفتيات المدينة قصصاً مثيرة للشهوة الجنسية، ونجدها في أخرى تنصحهن وتعلمهن كل ما له علاقة بشؤون الفراش مع التركيز على وضعيات الجماع وفنون الشخير والنخير. تارة توبّخ الخليفة «عبد الملك بن مروان» لقتله مصعب بن الزبير. وتارة تسدي النصحية لمن يحتاجها من أشراف المجتمع.

فمن هذه الـ «حُبَّى» التي تنوعت أخبارها وألقابها؟

دخلت حُبَّى عالم الأمثال العربية وضربت العرب فيها المثل بشدة «الشبق» والشهوة الجنسية التي لا يضاهيها فيها إنسان، قيل: «أشبق من حُبَّى»! لأنها عشقت في شيخوختها شاباً يافعاً فارساً وشاعراً، هامت بحبّه. فتزوجها.

شخصية عجيبة مليئة بالتناقضات والتشابكات رسمها الرواة العرب عن هذه المرأة، ولأن قَصصها وأخبارها تناثرت في بطون كتب تراثنا، فإن تسليط الضوء عليها ووضعها تحت مجهر الباحث والمتقصي عنها. سيضيء لنا جانباً مهماً عن مجتمع المدينة، لا سيما أن العصر الذي عاشت فيه حُبَّى كان عصراً مفصلياً في تاريخ العرب، ويمسّ الحد الفاصل بين الجاهلية والإسلام، وهو من أكثر العصور حساسية عند الباحث في تناول المرويات العربية، يقول الجاحظ: «الناسُ بمآثر العرب في الجاهليَّة أشدُّ كلفاً»[8]. وعليه فإن أي محاولة لتفكيك المرويات العربية في الجاهلية تحتاج إلى تأنٍ،

4- كما يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني في تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة: 854/1-855.

5- رسائل الجاحظ كتاب مفاخرة الجواري والغلمان: 129/2-130.

6- نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب للتيفاشي، ص238.

7- بلاغات النساء، ابن طيفور، ص155 وما يليها.

8- الجاحظ، الحيوان: 108/2.

لأن مرويات الجاهلية على اختلافها، إسلامية المرجع. وبالتالي لم تسلم المروية من مُدخلات أثرت على نسيجها التاريخي فتداخلت فيها عناصر الزمان والمكان، وكانت أقرب إلى فضاءات الأسطورة منها إلى واقع التاريخ، وتبدو عملية الفصل بين الأسطورة والتاريخ مهمة شاقة لكنها لن تخلو من متعة فك ألغازها.

يقول الدكتور صلاح الدين المنجد، أحد أهم المحققين لكتب التراث الإسلامي، في كتابه «الحياة الجنسية عند العرب»: «في المدينة ظهرت امرأة اسمها «حُبَّى»، ضُرِبَ بها المثل بحب الجماع، فقيل: «أشبق من حُبَّى»، ذلك أنها كانت تحب النكاح حباً جماً، وتؤثره على طيبات الدنيا، وبلغت من الكبر عتياً، وظلت الشهوة تفور في جسمها. فتزوجت شاباً اسمه ابن أم كلاب[9] لتشفي، كما قالت، غَليلها وتموت. وكان نساء المدينة يسمون حُبَّى «حواء أم البشر» لأنها علمتهن ضروباً من هيئات الجماع، ولقبت كل هيئة بلقب». يضيف المنجد: «كانت المرجع الأول في الأمور الجنسية في المدينة، كما أن لها أقوالاً مأثورة تدل على عقل وحكمة».

ظهرت حُبَّى في المدينة المنورة، في عصر امتد من أواخر أيام الجاهلية إلى الخلافة الأموية، وعاشت التناقض العجيب الذي شهده مجتمع الجزيرة العربية عندما انتقل الحكم من الجزيرة إلى دمشق.

يقول الدكتور صلاح الدين المنجد عن هذا الانتقال: «نال أهل المدينة الضيق والعنت. فانصرفوا إلى الفقه، فكان منهم فقهاء المدينة السبعة. وانصرفوا إلى الغناء فظهر فيهم كبار المغنين. وجهتان مختلفتان متباعدتان، وجد أهل المدينة فيهما خلاصاً من ضيقهم. ولكن الذين مالوا إلى اللهو وإلى الغناء كانوا أكثر ممن مال إلى الفقه والتقى، فانطلق الناس في المدينة. وفي مكّة أيضاً، وراء اللذات الحسية. ورافق هذا الانطلاق صراحة في التحدث

9- راجع المرصع لابن الأثير، ص188-189: «ابن أم كلاب هو رجل من أهل المدينة عشقته حُبَّى المدنية فتزوجته على كبر سنها فضرب بها المثل».

عن تلك اللذات والتفنن بها بالحلال وبالحرام»[10].

ضمن هذا الجو طورت حُبَّى «مدرسة» لتعليم الجنس لأهل المدينة، وكانت سقيفتها المكان الذي يجتمع به طلاب العلم لاسيما الشباب منهم، وهذا سبب إضافي لننزع التهمة التي ألصقها المستشرقون بالعرب من أنهم شعب غريزي شهواني، لا يهمه من المرأة إلا أن يطفئ شهوته فيها. الأمر لم يكن كذلك إطلاقاً، فالمدرسة التي أسستها حُبَّى، والتي لا نملك اليوم إلا بعضاً من تعاليمها، تشكل دليلاً على أن النقاش حول الجنس كان علنياً من مبدأ «لا حياء في العلم»، ويدل أيضاً على أن الشباب لم يكونوا مغيّبين عن هذا الجانب، كما هو الحال في أيامنا.

ولكن هذا لا يعني أن مدرسة حُبَّى ظهرت نتيجة للمتغيرات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية على مجتمع المدينة بانتقال مركز ثقل الدعوة الإسلامية من المدينة إلى دمشق، بل إن مدرستها كانت نتيجة لتطور اجتماعي وثقافة قديمة. فرواد هذه الـ «مدرسة» كان منهم شخصيات لها ثقلها ووزنها في المجتمع، وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على الانفتاح الذي كان يسود المجتمع الإسلامي بعيداً عن التشدد والتزمت، فالسعي وراء اللذات لا يعني ميلاً إلى الانحلال الأخلاقي وإنما سعياً لتحقيق التوازن النفسي للمجتمع، فهذا الميل للذات رافقه ميل إلى العلم والاطلاع على ثقافات الشعوب الأخرى. ضمن هذا الجو المنفتح يجب أن ننظر إلى حُبَّى ومدرستها.

10- الحياة الجنسية عند العرب، صلاح الدين المنجد، ص57-58.

شغلي على حُبَّى

غريب ألا يفطن لحُبَّى المدنية أي من الباحثين على امتداد هذا التاريخ الطويل! فالتطرق إليها من قبل الباحثين القدماء والمعاصرين لم يكن يتجاوز بضعة أسطر أو هامشاً في كتاب، عندما يأتي ذكرها. وشخصية مثل حُبَّى تستحق عملاً مستقلاً، ويكفي سبباً لذلك أن تلقب امرأة في مجتمع المدينة، في فترة تاريخية حرجة جسدت الانتقال التاريخي في المجتمع العربي بين ما سمي بـ «الجاهلية» وبين «الإسلام»، في هذا العصر نقرأ عن امرأة عاشت في المدينة المنورة/ يثرب ولقبت بـ «حواء أم البشر».

في كتابي هذا سأعيد رسم الإطار الزمني للعصر الذي عاشت فيه حُبَّى، وسأعمل على تحديد الإطار الجغرافي للدار التي عاشت فيها وللسقيفة التي كان يجتمع فيها إليها أشراف قريش وأشراف المدينة رجالاً ونساءً، فتياناً وفتيات، ثم سنحاول تحديد معالم المدرسة التي تفرّدت بها حُبَّى وتعاليمها، ثم سأحاول أن ألملم ما تبقى من تعاليم حُبَّى وأذكر شيئاً من قصصها.

في هوامش الكتاب سأضيء على جانب مهم على وجه جديد لنساء العرب، من خلال ذكر أخبار نساء عاصرنّ حُبَّى، وكان ثمة رابط ما فيما بينهن.

سَقِيفةُ حُبَّى

قال الجاحظ في كتابه «المحاسن والأضداد»، فصل محاسن التزويج، نقلاً عن صالح بن حسان قال[11]:

رأيت امرأة بالمدينة يقال لها حواء، وهي التي علّمت نساء المدينة النقع، وهو النخر والحركة والغربلة والرَّهز، وكانت لها سقيفة تتحدث إليها رجالات قريش، ولم يكن في الدنيا أهل بيت إلا وتأخذ صبيانهم، وتمصّهم ثديها، أو ثدي إحدى بناتها. فكان أهل المدينة يسمونها حواء. ولم يكن بالمدينة شريف ممن يجلس في سقيفتها[12] إلا واصل إليها في السنة، ثلاثين وسقاً وأكثر، من طعام وتمر، مع الدنانير والدراهم، والخدم والكساء.

فجاءها ذات يوم مصعب بن الزبير[13]، وعمرو بن سعيد بن العاص، وابنّ

11- المحاسن والأضداد، ص177. أبو عثمان بن بحر الجاحظ البصري، توفي 255 هـ، دار مكتبة عرفان.

12- والسَّقيفةُ: كل بناء سُقفَتْ به صُفَّةٌ أَو شِبْهُها مما يكون بارزاً. والصُّفَّةُ من البُنْيانِ شبه البَهْو، الواسع الطويل السَّمْكِ. وقيل: السقيفة هي السُّدَّة أو الفناء أمام باب الدار. راجع لسان العرب: شرح (سقف، صف، سدد).

13- مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب. ولّاه أخوه عبد الله بن زبير البصرة، ثم عزله بابنه حمزة، ثم ولاها إياه ثانية وجمع له معها الكوفة... وعندما وفد على معاوية مع شباب من أهل المدينة من قريش بينهم عبد الملك بن مروان وعبد الرحمن ابن أم الحكم وعمر بن سعيد. جعل زياد بن أبيه يزور كل واحد منهم في المنزل الذي خصصه له. فكان وصف زياد لمصعب «هو أحيا من فتاة مُخَدرة حييّة، وهو أحبُّهم إلي، لك أن تصطنعه». وكان مصعب يسمى «آنية النَّحل» لكرمه وجوده، وكان أحسن الناس وجهاً، وأشجعهم قلباً. وروي أن جميل بثينة نظر إلى مصعب على جبال عرفة فقال: إن هاهُنا لفتى أكره أن تراه بثينة. (تاريخ دمشق، ابن عساكر، 319/24 وما يليها). وقال عبد الملك يوماً =

لعبد الرحمن ابن أبي بكر، فقالوا لها: يا خالة قد خطبنا نساء من قريش، ولسنا ننتفع إلا بنظرك إليهن، فأرشدينا بفضل علمك فيهن[14]! فقالت لمصعب: يا بن أبي عبد الله! ومن خطبت؟ قال: عائشة بنت طلحة[15]: قالت: فأنت يا بن الصديق؟ قال: أم القاسم بنت زكريا بن طلحة. قالت: فأنت يا بن أبي أحيحة؟ قال: زينب بنت عمرو بن عثمان[16]. فقالت: يا جارية علي بمنقلي ـ تعني خفيها ـ فأتتها بهما، فخرجت ومعها خادم لها[17]، فأتت عائشة بنت طلحة. فقالت: مرحباً بك يا خالة. فقالت: يا بُنية إنّا كنا في مأدبة لقريش، فلم تبق امرأة لها جمال إلا ذُكرت وذُكر جمالك. فلم أدرِ

= لجلسائه: من أشجع الناس؟ فأكثروا في هذا المعنى. فقال: أشجع الناس مصعب بن الزبير، جمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين وابنة الحميد بنت عبد الله بن عباس، وولي العراقين، ثم زحف إلى الحرب، فبذلت له الأمان والحباء والولاية والعفو عما خلص في يده، فأبى قبول ذلك وأطرح كل ما كان مشغوفاً به من ماله وأهله وراء ظهره، وأقبل بسيفه قرماً يقاتل وما بقي معه إلا سبعة نفر حتى قتل كريماً. وكانت وفاته عام 70 أو 71 للهجرة. (الأغاني: 166/17، وتاريخ دمشق: 392/24).

14- في رواية الأغاني: 53.52/10 (وعنه أخذ عمر كحالة في موسوعته: أعلام النساء 278/3). تتطابق مروية «زواج عائشة بمصعب». لكن الخاطبة في المروية ليست «حُبّى» وإنما «عزّة الميلاء»، ومطلع الرواية: أخبرني الحسين بن يحيى، قال: قال أبي حدثت عن صالح بن حسان، قال: كان بالمدينة امرأة حسناء تسمى عزة الميلاء، يألفها الأشراف وغيرهم من أهل المروءات، وكانت من أظرف الناس وأعلمهم بأمور النساء. فأتاها مصعب بن الزبير، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر، وسعيد بن العاص، فقالوا: إنا خطبنا، فانظري لنا..

15- كانت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله، من نُبّل نساء قريش، أمها أم كلثوم بنت أبي بكر رضي الله عنه، تربية خالتها عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله تعالى عنها. وسنفرد لها فصلاً خاصاً أدناه...

16- في رواية الأغاني اسمها «عائشة بنت عثمان».

17- أضاف صاحب الأغاني: «فإذا هي بجماعة يزحم بعضهم بعضاً، فقالت: يا جارية انظري ما هذا، فنظرت ثم رجعت، فقالت: امرأة أخذت مع رجل. فقالت: داء قديم امض، ويلك. فبدأت بعائشة بنت طلحة...».

كيف أصفك، فتجردي لأنظرك، فألقت درّعها، ثم مشت، فارتجّ كل شيء منها، ثم أقبلت على مثل ذلك، فقالت: فداك أبي وأمي، خذي ثوبك[18].

وأتتهن جميعاً على مثل ذلك، ثم رجعت إلى السقيفة فقالت: يا بن أبي عبد الله، ما رأيت مثل بنت طلحة عائشة قط، ممتلئة الترائب، زجّاء العينين، هدبة الأشفار، محطوطة المتنين، ضخمة العجيزة، لفّاء الفخذين، مسرولة الساقين، واضحة الثغر، نقية الوجه، فرعاء الشعر، إلا أنني رأيت خلتين هما أعيب ما رأيتها فيها: أما إحداهما فيواريها الخفّ، وهي عِظم القدم، والأخرى يواريها الخمار، وهي عظم الأذن[19].

---

18 أضاف صاحب الأغاني: فقالت لها عزة: خذي ثوبك فديتك. فقالت عائشة: قد قضيت حاجتك وبقيت حاجتي. قالت عزة: وما هي بنفسي أنت؟ قالت: تغنيني صوتاً، فاندفعت تغني شعراً لجميل بن عبد الله بن معمر العذري، ومن لحنها:

خليلي عوجاً بالمحلة من جمل	وأترابها بين الأصيفر والخبل
نقف بمغان قد محا رسمها البلى	تعاقبها الأيام بالريح والوبل
فلو درج النمل الصغار بجلدها	لأندب أعلى جلدها مدرج النمل
وأحسن خلق الله جيداً ومقلة	تشبه في النسوان بالشادن الطفل

فقامت عائشة، فقبّلت ما بين عينيها، ودعت لها بعشرة أثواب، وبطرائف من أنواع الفضة وغير ذلك فدفعته إلى مولاتها، فحملته. وأتت النسوة على مثل ذلك تقول ذلك لهن حتى أتت القوم في السقيفة، فقالوا: ما صنعت؟ فقالت: يا بن أبي عبد الله.....».

19 وصف عزّة الميلاء لعائشة في الأغاني: فقالت: يابن أبي عبد الله، أما عائشة فلا والله ما رأيت مثلها مقبلة ومدبرة، محطوطة المتنين، عظيمة العجيزة، ممتلئة الترائب، نقية الثغر، وصفحة الوجه، فرعاء الشعر، لفاء الفخذين، ممتلئة الصدر، خميصة البطن، ذات عكّن، ضخمة السرّة، مسرولة الساق، يرتج مابين أعلاها إلى قدميها. وفيها عيبان: أما أحدهما فيواريه الخمار، وأما الآخر فيواريه الخفّ عظم القدم والأذن، وكانت عائشة كذلك.

وصف عزة لعائشة في مروية ابن عساكر، مع الإشارة إلى أن المروية تقتصر على ذكر عائشة فقط: فقالت: رأيت وجهاً أعز من العافية، به عينان نجلاوان، من تحتهما أنف أقنى، وخدان أسيلان، وفم كفم الرمانة، وعنق كإبريق الفضة، تحت ذلك صدر فيه حُقا عاج، تحت ذلك بطن أقب، ولها عجيزة كدعص الرمل، وفخذان لفاوان، وساقان رياوان، غير أني رأيت في رجلها كبر، وهي تغيب عنك وقت الحاجة.

وأما أنت يا بن أحيحة: فما رأيت مثل زينب بنت عمرو فراهة قط، إلا أن في الوجه ردة، ولكني مشيرة عليك بأمر تستأنس إليه، وهي ملاحة تعتز بها[20].

وأما أنت يا بن الصديق، فوالله ما رأيت مثل أم القاسم. ما شبهتها إلا بخوط بانة تتثنى، أو خشف يتقلب على رمل، ولم أرها إلا فوق الرجل، وإذا زادت على الرجل المرأة لم تحسن - لا والله - إلا من يملأ المنكبين. فتزوجوهن[21].

ونجد ما يدعم قول الجاحظ هذا لدى البلاذري في «أنساب الأشراف»: حدثني العمري عن الهيثم بن عدي: أن المصعب بن الزبير قال لحُبَّى المدينية: ابغيني امرأة أتزوجها، فقالت: بأبي أنت وأمي، عائشة بنت طلحة على عِظَم في أذنيها وقدميها، فقال المصعب: أما الأذنان فيغطيهما الخمار، وأما القدمان فيغطيهما الخفّ. فتزوجها، وأصدقها خمسمئة ألف درهم، وأهدى لها خمسمئة ألف درهم[22].

المروية التي ينقلها الجاحظ عن صالح بن حسان[23] والبلاذري في أنسابه،

20- رواية الأغاني: فإني والله ما رأيت مثل خلق عائشة بنت عثمان لامرأة قط، ليس فيها عيب والله لكأنما أفرغت إفراغاً ولكن في الوجه ردة، وإن استشرتني، أشرت عليك بوجه تستأنس به.

21- رواية الأغاني: وأما أنت يابن الصديق فوالله ما رأيت مثل أم القاسم كأنها خوط بانة، تنثني، وكأنها جدل عنان، أو كأنها جان يتثنى على رمل، لو شئت أن تعقد أطرافها لفعلت، ولكنها شختة الصدر وأنت عريض الصدر، فإذا كان ذلك كان قبيحاً، لا والله حتى يملأ كل شيء مثله. قال: فوصلها الرجال والنساء، وتزوجوهن.

22- جمل من أنساب الأشراف: 137/10، صنفه الإمام أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ت 279 هـ، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى 1996.

23- أبو الحارث صالح بن حسان الأنصاري النضيري، هو من بني النضير، مديني، روى عن محمد بن كعب القرظي، وعروة بن الزبير، قال ابن أبي حاتم الرازي: هو حجازي، قدم بغداد (الأنساب للسمعاني). وكان سرياً يملأ المجلس إذا تحدث، وكان عنده جوار مغنيات فهن وضعنه عند الناس، وقدم الكوفة فسمع منه الكوفيون وأدرك المهدي (المعارف لأبي قتيبة الدينوري).

تجعل من «حواء/حُبَّى» بطلة زواج مصعب بن الزبير بعائشة، ونعرف ـ كما أثبتنا سابقاً ـ أن اللقب الذي اشتهرت به حُبّى بين الرواة العرب هو «حواء المدينة». وما يدعم وجهة نظرنا هي رواية أحد أهم النسابة العرب وهو البلاذري الذي يؤكد أن «حُبَّى المدينية» هي التي اختارت عائشة بنت طلحة لمصعب بن الزبير.

من رواية الجاحظ نعلم أن حُبَّى كانت لها خدم وحشم وكانت صاحبة ثروة ونفوذ أيضاً.

فمن هي «حواء المدينة» تلك؟ ومن هي «حُبَّى»؟

في أصل الحُبّ ومَنْ تَسَمَّيْنَ حُبَّى

لحُبَّى من اسمها نصيب، فأصل الاسم مشتق من الحُبِّ وهو نَقِيضُ البُغْضِ، وأعتقد أن الحُبُّ ـ بضم الحاء، مشتق بحد ذاته من الحَب ـ بفتح الحاء، وهو الاسم ذاته الذي كانت تسمي به العرب القمح. ويقول صاحب اللسان في شرحه لكلمة «حبب»: حُبَّى على وزن فُعْلى: اسم امرأة. قال هُدْبةُ بن خَشْرم:

فَما وَجَدَتْ وَجْدي بها أُمُّ واحِدٍ ولا وَجْدَ حُبَّى بِابْنِ أُمّ كِلابِ

وبشيء من الاستفاضة والتعمق في شرح كلمة «الحب» نقرأ معنىً لافتاً في لغة العرب، يقول ابن منظور في لسانه: «أما الحَبُّ فليس إلا الحِنْطَةَ والشَّعيرَ»، وفي معنى آخر يجسد شمولية اللفظ نقرأ: «الحَبُّ: الزرعُ، صغيراً كان أو كبيراً».

المثير للدهشة أن الحَبَّةُ تعني أيضاً «وَسَطُ القَلْب»، وفي الوقت ذاته، كما يقول الجوهري، الحَبَّةُ: واحدة حَبِّ الحِنْطةِ، ونحوها من الحُبُوبِ[24].

ما أودّ قوله هو أن كلمة الحُبِّ اشتقت من الزرع وتحديداً زراعة الحَب/ القمح، والأصل الزراعي للكلمة يؤكد حدوث ارتقاء إنساني لافت للتعبير عن المشاعر الإنسانية. فالقمح وزراعته هو الأصل الذي نقل الإنسان من مملكة الحيوان إلى عالم البشر، عندما استطاع الإنسان تدجين حبة القمح والتحكم في ظروف إنتاجها، وحبة القمح هي البذرة التي تزرع في رحم الأرض لتخلق القربان الذي يحرر الإنسان من عالم الخضوع لظروف

24- الحبّة أيضاً: الجزء من الشيء، وفي لسان العرب يقال: حَبَّة مِن شَعير وحَبَّةٌ من عِنَب» وهي كلمات نستخدمها إلى يومنا هذا.

الطبيعة وتقلباتها إلى متحكم في ظروف إنتاج معاشه. ولنا في اللغة ما يدعم وجهة نظرنا. فلغة العرب ماهت بين الحب والرحم. فـ «الحُبُّ» تعني فيما تعنيه: الجَرَّةُ الضَّخْمةُ، والخابيةُ؛ وقال ابن دريد: هو الذي يُجْعَلُ فيه الماءُ. هذا المعنى يضفي بعداً رمزياً مهماً على معنى الخابية أو الجرة الضخمة، إذ لها علاقة وثيقة الصلة بالرحم.

يمكن أن نعيد تشكيل الصورة بالقول إن علاقة الرجل والمرأة تشبه علاقة السماء بالأرض، وعليه يكون الحُبُّ رحماً يسكب بداخله ماء الخلق. وعليه يفهم لماذا تكون لفظة التَّحَبُّبُ في لغة العرب هي محاولات تقارب الرجل من المرأة أو العكس وهي بذات الوقت تعني «أوَّلُ الرِّيِّ».

ولأن لها من اسمها نصيباً، فإن حُبَّى المدنية، التي اشتهرت بلقب حواء أم البشر، كانت خلال القرن الهجري الأول تؤدي رسالة القمح في تعليم البشر أسرار الإنسانية في دارها/ مدرستها، التي كانت تعلّم فيها نساء ورجال المدينة المنورة كل ما له علاقة بالجنس وأحواله وأدواته.

نقول رسالة القمح، نظراً للارتباط الوثيق في ديانات الخصب القديمة بين القمح والجنس ليس باعتباره لذة لحظويّة وفعلاً آلياً، وإنما باعتباره فعلاً معرفياً وطريقاً للخلود، تماماً كالقمح.

انطلاقاً من هذه الرؤية يغدو من الطبيعي ظهور مدرسة حُبَّى في يثرب، فقد كانت مجتمعاً زراعياً بامتياز.

ولعلّ أشهر من تسمى باسم حُبَّى في تاريخ العرب:

حُبَّى بنت حليل الخزاعي امرأة قصيّ بن كلاب:

تقول الأسطورة العربية: إن حليلاً كان له بَنُون وبنت يقال لها حُبَّى، وهي امرأة قصيّ بن كلاب، فمات حليل، وأوصى ابنَتَه حُبَّى بالحجابة وأشْرَك معها أبا غَبْشَان الملكاني، فلما رأى قُصَيُّ بن كلاب أن حليلاً قد مات، وبَنُوه غُيَّب، والمفتاحُ في يد امرأته، طلب إليها أن تدفع المفتاح إلى ابنها عبدِ الدار

بن قصي، وحمل بنيه على ذلك، فقال: اطلبوا إلى أمكم حجابة جدكم، ولم يزل بها حتى سَلسَتْ له بذلك، وقالت: كيف أصنع بأبي غَبْشان وهو وَصِيٌّ معي؟ فقال قُصَي: أنا أكفيكِ أمره. فاتفق أن اجتمع أبو غَبْشَان مع قصي في شَرْب بالطائف. فخدَعَه قصي عن مفاتيح الكعبة بأن أسْكَره. ثم اشترى المفاتيحَ منه بزقّ خمر. وأشهد عليه. ودفَع المفاتيح إلى ابنه عبد الدار بن قصي. وطَيَّره إلى مكة. فلما أشرف عبدُ الدار على دور مكة رفع عَقيرته وقال: معاشرَ قريش. هذه مفاتيح بيت أبيكم إسماعيل قد رَدَّها الله عليكم من غير غَدْر ولا ظلم. فأفاق أبو غَبْشَان من سكره أنْدَمَ من الكُسَعي. فقال الناس: أحمق من أبي غَبْشَان، وأنْدَمُ من أبي غَبْشان. وأخْسَرُ صَفْقَه من أبي غَبْشان. فذهبت الكلمات كلها أمثالاً[25].

خبَى بنتُ مالك بن عمرو العدْوانية:

كانت من أجمل النساء. فسمع بجمالها مَلكُ غَسَّان فخطبها إلى أبيها. وحكَّمه في مهرها. وسأله تعجيلها. فلما عَزَم الأمر قَالت أمها لتُبَّاعها: إن لنا عند الملامسة رَشْحَة فيها هَنَة. فإذا أرَدْتُنَّ إدخالها على زوجها فَطَيِّبْنهَا بما في أصدافها. فلما كان الوقت اعْجَلَهُنَّ زوجُها. فأغفلن تطييبها. فلما أصبح قيل له: كيف وجدت أهلَكَ طروقتك البارحة؟ فَقَال: ما رأيت كالليلة قط لولا رُوَيْحة أنكرتها؟ فَقَالت هي مِنْ خلف الستر: لا تعدم الحسناء ذاماً. فأرسلتها مَثَلاً[26].

حُبًى بن حارثة الصحابي:

يقول الإمام ابن حجر: اختلف حُبًى بن حارثة الصحابي فقيل هكذا، وقيل كأصل الباب. وقيل حي بلا تصغير[27].

25- مجمع الأمثال: 216/1. المثل: 1167 ـ أَحْمَقُ مِنْ أَبِي غَبْشَانَ.

26- مجمع الأمثال 213/2، وأيضاً فرائد اللآلئ في مجمع الأمثال: 181/2.

27- ابن حجر العسقلاني، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه: 476/1.

حُبَى ابنة تُبَّع:

و تُبَّع هو لقب للمُلك، قال المسعودي: يسمى به من مَلك اليمن والشحر وحضرموت، كالخليفة للمسلمين، وكسرى للفرس، قاله المسعودي. فمن التبابعة: الحارث الرائش وهو ابن همال ذي سدد. وأبرهة ذو المنار. وعمرو ذو الأذعار. وشمر بن مالك، الذي تنسب إليه سمرقند. وافريقيس بن قيس، الذي ساق البربر إلى إفريقية من أرض كنعان، وبه سميت إفريقية. تقول الأية القرآنية، سورة الدخان 37/44 ـ 39: ﴿أهم خير أم قوم تُبَّعٍ﴾.

ونقل القرطبي في تفسيره عن الزجاج وابن أبي الدنيا والزمخشري وغيرهم أنه حفر قبر له بصنعاء ـ ويقال بناحية حمير ـ في الإسلام، فوجد فيه امرأتان صحيحتان، وعند رؤوسهما لوح من فضة مكتوب فيه بالذهب: «هذا قبر حُبَّى ولميس». ويروى أيضاً: «حُبَّى وتماضر». ويروى أيضاً: «هذا قبر رضوي وقبر حب ابنتا تبع، ماتتا وهما يشهدان أن لا إله إلا الله ولا يشركان به شيئاً؛ وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما»[28].

28- الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، الدخان 37:39/44.

عصر حُبَّى

لم تحدد كتب الأنساب والأخبار تاريخاً لميلاد حُبَّى[29] ووفاتها، ورغم حرصهم على إيراد ذكرها إلا أن أغلبهم اكتفى عند ذكرها بأنها شخصية مشهورة لها نوادر وأخبار شهيرة، منها ما نجده لدى شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني في كتابه «تبصير المنتبه بتحرير المشتبه»[30]، أو ابن ناصر الدين الدمشقي[31] وغيرهما.

لذلك فإنه من الصعوبة تحديد موعد لميلاد حُبَّى ووفاتها ونسبها، بسبب الغموض الذي أحيطت به هذه الشخصية، ولأن اسم حُبَّى ارتبط ببعض الحوادث الشهيرة في التراث العربي كحادثة مقتل الشاعر هدبة ابن الخشرم، ومقتل مصعب بن الزبير، فإن ذلك يتطلب منا توخي الحذر أثناء التعامل مع المرويات التي يتصدرها اسم حُبَّى أو التي تكون حُبَّى طرفاً فيها.

يمكن تحديد خطوط عريضة للإطار الزماني والمكاني الذي عاشت فيه حُبَّى، وذلك من خلال شخصيات محورية تذكر كتب التراث الأدبية والتاريخية أنها عاصرتهم واحتكت بهم، مثل الخليفة عمر بن الخطاب

29- أشهر من تسمى باسم حُبَّى كما نقرأ في كتب الأنساب: حُبَّى بنت حُليل الخُزاعية أم ولد قصي بن كلاب أم عبد مناف وعبد الدار وعبد العُزى وعبد بني قُصي (راجع توضيح المشتبه وتبصير المنتبه بتحرير المشتبه لابن حجر 398/3)، وفي المحبّر ورد اسم حُبَّى بنت حُليل بن حبشية بن سلول الخزاعية، ص457.

30- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، ابن حجر العسقلاني 476/1، وفيه: «حُبى بالضم وإمالة: المدنية لها نوادر وأخبار شهيرة».

31- توضيح المشتبه، لابن ناصر الدمشقي: 398/3، وفيه: «حُبَّى بغير الإمالة: حُبَّى المدنية مشهورة».

والخليفة عثمان بن عفان والخليفة عبد الملك بن مروان والشاعر هدبة بن الأشرم، والشخصية الشهيرة مصعب بن الزبير، ومالك بن عوف، سيد هوازن.

عمر بن الخطاب 584 م ـ 644 م

ولد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب بعد عام الفيل[32] بثلاث عشرة سنة[33]، أي بحدود عام 582 ميلادي (+/- عام)، ونقل ابن الجوزي في مناقب عمر رضي الله عنه عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر: ولدت قبل الفجار الأعظم بأربع سنين[34]، والفجار الأعظم وقع بعد الفيل بعشرين عاماً أي بحدود 589 للميلاد (+/- عام) أي يكون ميلاده سنة 585 ميلادي.

وأسلم وله سبع وعشرون سنة، كما قال الذهبي[35]، أو ست وعشرون سنة[36]. توفي آخر سنة ثلاث وعشرين للهجرة[37] أي 644 ميلادي. واختلف في عمره عند وفاته[38] وأرجّح أنه كان 58 سنة.

يقول مؤرخ المدينة «ابن شبّة»، ونحا السمهودي نحوه: إن «حُبَّى» كانت مرضعة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وهذا يعني أن حُبَّى ولدت قبل 589 للميلاد بنحو خمسة عشر عاماً.

32- هو العام الذي غزا فيه أبرهة الأشرم مكة لتدمير الكعبة، بهدف تحويل الناس إلى كعبته التي بناها في اليمن، وكان الفيل هو السلاح العسكري الجديد والمفاجئ الذي استخدمه الأشرم في معركته لذلك سمي العام بهذا الاسم. ويقدّر الباحثون أن يكون عام الفيل 568 أو 569 أو 570 ميلادي.

33- تاريخ الخلفاء، السيوطي، ص89.

34- مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ابن الجوزي، ص13.

35- تاريخ الخلفاء، السيوطي، ص89.

36- مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ص13.

37- تاريخ الخلفاء، ص111.

38- بزيادة أو نقصان عام.

مالك بن عوف

هو مالك بن عوف بن سعد بن ربيعة بن يربوع بن واثلة بن دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن النصري، يكنى أبا علي[39]، سيد قومه هوازن[40].

وذكر العلامة الطبيب داود الأنطاكي في كتابه «تزيين الأسواق وأخبار العشاق»[41] أن مالك بن عوف كان زوجاً لحُبَّى، وقد استدل الأنطاكي بذلك من بيت شعر قاله الشاعر هدبة بن الخشرم عندما مرَّ على حُبَّى في طريقه للقتل سنة 57 للهجرة. فقالت له حُبَّى: سبيل الله شبابك وصبرك وشعرك، فأنشد ارتجالاً:

تعجَّب حُبَّى من أسير مُكبل	صَليب العصا باق على الرَّسَفَان
فلا تعجبي مني حَليلة مالك	كذلك يأتي الدهر بالحَدَثان

39 تاريخ الطبري، ص441-446 أحداث السنة الثامنة للهجرة.

40- وهي قبيلة هوازن بن منصور: بطن من قيس بن عيلان، من العدنانية، وهم: بنو هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. له أفخاذ كثيرة، يجمعهم ثلاثة أجرام، كلهم لبكر بن هوازن، وهم: بنو سعد بن بكر، وبنو معاوية بن بكر، وبنو منبه بن بكر. **منازلهم**: كانوا يقطنون في نجد مما يلي اليمن. ومن أوديتهم: حنين. **تاريخهم**: ومن أيامهم ووقعاتهم: وقعة أنتان وهو موضع قرب الطائف كانت به وقعه بين هوازن وثقيف، كثر فيهم القتلى، حتى أنتنوا. ويوم شمظة، كان لهوازن على كنانة، ويوم الفجار الأول، كان بين كنانة، وعجز هوازن. ويوم الفجار الرابع، وهو الأكبر، كان بين قريش وهوازن، ... وغزا الرسول (ص) هوازن بوادي حنين، لستٌ خلون من شوال، بعد فتح مكة، في اثني عشر ألفاً من المسلمين، ورئيس هوازن مالك بن عوف النصري، .....، وقال: قد رددت الذي لبني هاشم عليهم. وارتدوا سنة 11 هـ عن الإسلام، فيمن ارتد من العرب، واشتركوا. وذكروا في حوادث سني 36، 51، 61 من الهجرة. **أصنامهم**: من أصنامهم: جهار، وهو صنم كان لهم بعكاظ، وكانت سدنته آل عوف النضريون، وكانت محارب معهم، وكان في سفح أطحل. وكانوا يعظمون ذا الخلصة (معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة: 1231/3).

41- راجع تزيين الأسواق، داود الأنطاكي، ص186، ديوان هدبة بن الخشرم، ص19-147.

فهل كانت حُبَّى في ذلك التاريخ زوجة لمالك بن عوف. أم أن الأنطاكي أخطأ في استدلاله، علماً أن هدبة ذكر حُبَّى بشعر قارن فيه حبه لزوجته بحب حُبَّى ووجدها بشاب يدعى عبيد ابن أم كلاب.

أول ذكر لمالك كما يقول ابن حبيب في المنمق كان بعد أيام الفجار التي كانت هوازن طرفاً رئيساً فيها، عام 589 للميلاد واستمرت أربع سنين. تداعى القوم للصلح، فاندس وهب آل معتب حتى مكرت هوازن بكنانة وكان مالك بن عوف حينئذ على رأس ناس من بني النصير ممن أغاروا على بني ليث بصحراء الغميم (موضع بين مكة والمدينة) وجعل مالك يقاتل ويرتجز وهو يومئذ أمرد[42]، (الرجز):

أمرد يهدي حلمه شيب اللحى

يقول الطبري: إن مالك جمع ثقيف وهوازن بوادي حنين قرب وادي ذي المجاز لقتل رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، فهزمه النبي وساق نساءهم وصبيانهم وماشيتهم غنيمة. وقسم أموالهم فيمن كان أسلم من قريش. وعندما أسلمت ثقيف، سأل عنه رسول الله وفد هوازن. وقال لهم: «أخبروا مالك إن أتاني مسلماً رددت إليه أهله وماله، وأعطيته مئة من الإبل». فخرج مالك من الطائف إلى الرسول. وأسلم وحسن إسلامه، ووفى الرسول له بوعده واستعمله على من أسلم من قومه.

هدبة بن الخشرم

هدبة بن الخشرم بن كُرز بن أبي حيّة، شاعر فصيح قتل شاباً وهو من قبيلة عذرة، وترفع كتب النسب نسبه إلى قضاعة، قتل ابن عمه زيادة بن زيد العذري في أيام معاوية بن أبي سفيان، فحبسه فقتل في حَرّة المدينة سنة سبع وخمسين من الهجرة وهو شاب[43]، وله لقاء شهير بحُبَّى وهو في طريقه

42- المنمق، ابن حبيب، ص184.

43- ديوان هدبة بن الخشرم، ص22.

إلى حتفه قال فيه عن حُبه لزوجته[44]:

وجدت بها ما لم تجد أمٌّ واحد ولا وجدَ حُبَّى بابن أم كلاب
رأته طويل الساعدين شَمردلاً كما تشتهي من قُوة وشَبابِ

وهذا يعني أن حُبَّى كانت على قيد الحياة سنة 57 للهجرة.

عبد الملك بن مروان 647 م ـ 705 م

ولد عبد الملك بن مروان سنة 26 للهجرة[45] (647 ميلادي)، توفي سنة 86 للهجرة (705 ميلادي) عن 60 عاماً. وقتل عبد الملك مصعب بن الزبير في جمادى الآخرة 71 للهجرة[46] (690 م ـ 72 هـ) وعمره ستٌّ وثلاثون سنة، كما ذكر ابن الأثير في تاريخه[47]، مضيفاً أن عبد الملك قال يوماً لجلسائه: إن للحرورية لطريقاً. قالوا: فمن؟ قال: مصعب، كان عنده عقيلتا قريش سُكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة، ثم هو أكثر الناس مالاً، جعلت له الأمان وولاية العراق، وعلم أني سأفي له، للمودة التي كانت بيننا، فحمى أنفاً وأبى وقاتل حتى قتل.

ولقاء حُبَّى بعبد الملك بن مروان مثبت في أكثر من مناسبة. وإن سلمنا بهذه المروية فهذا يعني أن حُبَّى كانت لا تزال حية في عام 690 للميلاد، ولكن ذلك مثير للتساؤل فهي إما أنها ليست مرضعة عمر بن الخطاب، أو أن حادثة لقائها بعبد الملك بن مروان لم تتم بعد مقتل مصعب بن الزبير لأن عمرها سيكون حينئذ أكثر من مئة عام، هذا الأمر يبدو مقبولاً إذا افترضنا

44- ديوان هدبة بن الخشرم، ص78-79، حصل خلاف حول الشاعر الذي قال هذا البيت، وهناك شبه إجماع على أنه لهدبة بن الخشرم.

45- تاريخ الخلفاء، السيوطي، ص171.

46- تاريخ الرسل والملوك، الطبري، ص1132، يعقّب الطبري بعد ذكر حادثة لقاء حُبَّى مع كل من عبد الملك ومصعب، قيل: إن مقتل مصعب وحربه مع عبد الملك جرت في سنة 62 للهجرة.

47- تاريخ ابن الأثير: 333/4.

أن حُبَّى كانت من نساء العرب المعمرات، ولنا ما يؤيد افتراضنا، مع غياب أي مصادر تراثية، بأن طول عمرها كان أيضاً سبباً في إطلاق اللقب الذي اشتهرت به وهو «حواء أم البشر» إضافة إلى ما قاله الجاحظ.

مكانة حُبَى

سنفصل لاحقاً في المرويات التي تربط حواء المدينة بهذه الشخصيات. ولكن لا يمكننا إلا أن نقرّ بداية بالمكانة المرموقة التي كانت تتمتع بها «حُبَّى» في المدينة، وإذا صحّ أن هدبة قال البيتين السابقين. فإن ذلك من شأنه تأكيد مكانة حُبَّى في عالم الحب أيضاً. إذ إن هُدبة لحظة موته، وكي يُعلم الناس مدى حبِّه ووجده بزوجته، وضع نفسه في مقارنة مع وَجد حُبَّى بابن أم كلاب، رغم أن هدبة تزوج امرأة واحدة في حياته، لأنه كان نصرانياً. وهي من قبيلة قضاعة، وكانت من أجمل نساء زمانها شكلاً وقواماً، واشتهرت بالوفاء له والجزع عليه، فقد جدعت أنفها وقطعت شفتيها عند قتله، لئلا تحدثها نفسها بالزواج بعده[48].

48- ديوان هدبة، ص8.

معلمة حُبَّى

كانت حُبّى أول من علم أهل المدينة النخر والحركة والغربلة وشدة الرهز، وإنما أخذت ذلك عن سعدى بنت الحارث[49].

هذه هي المعلومة الوحيدة التي ينقلها أحد أئمة القرن الثالث الهجري ابن طيفور (204 ـ 280 هـ). في بلاغات النساء، وأسندها للهيثم[50] عن صالح بن حسان[51]. وهي المعلومة الوحيدة التي نعلم من خلالها أن لحُبّى معلمة، والمعلومات عن سعدى شحيحة هي الأخرى، ولكنها أكثر تنوعاً، لأنها إحدى زوجات الصحابي طلحة بن عبيد الله، ولها رواية عن بعض الصحابة.

فمن هي معلمة حُبّى؟

نكاد لا نعثر على ذكر لسُعدى بنت الحارث سوى في رواية ابن طيفور السابقة. وعند الفاكهي صاحب أخبار مكة، في حديث روته عن زوجها طلحة بن عبيد الله. وهو الحديث ذاته الذي يرويه ابن حجر العسقلاني في الإصابة، والمزّي في تهذيبه، عن سُعدى بنت عوف بن خارجة بن سنان بن

49- بلاغات النساء، ص155.

50 الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن الطائي كنيته أبو عبد الرحمن، يقول المرزُباني: كان من علماء الناس بالشعر رواية، توفي سنة 207 للهجرة، راجع مختصر نور القبس للمرزباني، ص293.

51- أبو الحارث صالح بن حسان الأنصاري النضيري، هو من بني النضير، مديني، روى عن محمد بن كعب القرظي، وعروة بن الزبير. قال ابن أبي حاتم الرازي: هو حجازي، قدم بغداد (الأنساب للسمعاني). وكان سرياً يملأ المجلس إذا تحدّث، وكان عنده جوار مغنيات فهن وضعنه عند الناس، وقدم الكوفة فسمع منه الكوفيون. وأدرك المهدي (المعارف لأبي قتيبة الدينوري). وسنلاحظ أن صالح هو من ذكر كثيراً من الأخبار عن حُبّى.

أبي حارثة المرّي، من بني مرّة بن عوف بن غطفان[52] زوجة طلحة[53]، وجعلها الإمام الحافظ ابن حبّان: سُعدى المرّية، في كتابه الثقات من بين أسماء الثقات في رواية الحديث والآثار[54].

يقول أبو الفرج الأصفهاني في أغانيه: «هي سعدى بنت عوف بن خارجة بن سنان بن أبي خارجة بن عوف بن أبي حارثة بن لأم الطائي، وكانت سعدى بنت عوف عند عبد الله بن الوليد بن المغيرة فولدت له سلمة وريطة، ثم توفي عنها، فخلف عليها طلحة بن عبيد الله[55]، فولدت له يحيى وعيسى وكان عيسى ثقة كثير الحديث، وكان من حلماء قريش[56]. ثم قتل طلحة عنها، فخطبها عبد الرحمن بن الحارث بن هشام[57] وكان عبد الرحمن من سادة قريش وله دار بالمدينة. وزوّجه عثمان بن عفان ابنته، وكان

52- مختصر تاريخ دمشق 185/25.

53- راجع الفاكهي، أخبار مكة في قديم الدهر وحديث 50/5 وهامش المحقق رقم 2817 (والمزي هو جمال الدين يوسف أبو الحجاج وكتابه تهذيب الكمال في أسماء الرجال): والحديث الذي يرويه الفاكهي: وفي أخبار مكة للفاكهي هو: حدثنا هارون بن موسى بن طريف قال: حدثنا ابن وهب، عن عمرو ـ يعني ابن الحارث ـ قال: إن بكيراً حدثه أن زفر بن عقيل حدثه أن سعدى بنت الحارث ـ امرأة طلحة بن عبيد الله ـ حدثته أن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه «كان يقدمهم ليلة المزدلفة حتى يصلوا الصبح بمنى».

54- وفي كتاب الثقات لابن حبان: 338/6: روى عنها زفير بن الأشج. وفيه أيضاً 351/4: زوجة طلحة بن عبيد الله اسمها سعدى المرية، تروي عن عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله، وروى عنها ابنها يحيى بن طلحة بن عبيد الله.

55- طلحة بن عبيد الله بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، ويكنى أبا محمد، وأمه الصعبة بنت عبد الله بن عماد الحضرمي، وأمها عاتكة بنت وهب بن عبد بن قصي، وقال بعض الرواة: كان عبيد الله أبو طلحة قرن أبي بكر وطلحة في الجاهلية، فسميا القرينين. وكان طلحة أحد العشرة الذين سموا للجنة، قالوا: وكان يقال لطلحة بن عبيد الله: طلحة الخير، وطلحة الفياض.

56- مختصر تاريخ دمشق: 20/74-75.

57- نسب قريش، ص306: يقول الزبيري: كان لعبد الرحمن بن الحارث بنات تزوجن في مناكح من قريش شريفة بعضهن ترك ولداً.

فيمن حضر جمع القرآن في المصحف وإقامته على لغة قريش[58]، فتكلم بنو سُعدى وكرهوا أن تتزوج وقد صاروا رجالاً، فقالت: إنه قد بقي في رحم أمكم فضلة شريفة لا بدَّ من خروجها، فتزوجها فولدت له المغيرة بن عبد الرحمن الفقيه[59] وكان من أجواد قريش، وغزا مع مسلمة بن عبد الملك أرض الروم[60]، وولدت له أيضاً زينب وهي أم حكيم».

ويفهم من كلام الأصفهاني أن الابنة الأخيرة لسُعدى وهي زينب كانت تلقب بأم حكيم وقد حملت هذا اللقب أيضاً ابنة زينب. نقرأ في أغاني الأصفهاني: «كانت أم حكيم وأمها زينب بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام من أجمل نساء قريش، فكانت قريش تقول لأم حكيم: الواصلة بنت الواصلة، وقيل الموصلة[61] بنت الموصلة، لأنهما وصلتا الجمال بالكمال»[62]. وزينب[63]

58- أنساب الأشراف: 10/175-176.

59- كان المغيرة أحد أجواد قريش والمطعمين منهم، وقد قدم الكوفة على عبد الملك بن بشر بن مروان وكان صديقه، وبها جماعة يطعمون الناس من قريش وغيرهم، فلما قدم تغيبوا فلم يظهر أحد منهم حتى خرج وبث المغيرة الجفان في السكك والقبائل يطعم الناس، فقال فيه شاعر من أهل الكوفة:

أتاك البحر طم على قريش — مغيري فقد راغ ابن بشر

قال مصعب الزبيري: هو - يعني المغيرة - مطعم الجيش بمنى وهو إلى الآن يطعم عنه. قال: وكانت أخته زينب أحسن الناس وجهاً وقداً وكأن أعلاها قضيب وأسفلها كثيب، فكانت تسمى الموصلة، وسُميّت بنتها أم حكيم بذلك لأنها أشبهتها. (الأغاني في أخبار أم حكيم، ونسب قريش).

60- مختصر تاريخ دمشق: 25/184.

61- نسب قريش، المصعب الزبيري، ص307: وكانت زينب تسمى من حسنها «الموصولة» لأن كل إرب (عضو) منها كأنما حَسُن خلقه، ثم وُصل إلى الإرب الآخر.

62- أخبارها في الأغاني: 15/49-50.

63- الأغاني: 15/49-50، ونسب قريش، المصعب الزبيري، ص307: كانت زينب بنت عبد الرحمن من لين جسدها يقال لها الموصلة، قال مصعب: فتزوج زينب أبان بن مروان بن الحكم، فولدت له عبد العزيز بن أبان، ثم مات عنها، فخطبها يحيى بن الحكم وعبد الملك بن مروان، فمالوا إلى عبد الملك، فأرسل يحيى إلى المغيرة بن عبد الرحمن: كم الذي تأمل =

ابنة سُعدى بنت الحارث فضلت يحيى بن الحكم على الخليفة عبد الملك بن مروان. وتجرأت عليه بأن لقبته بأبي الذُبان، لأن الذبان كان يعلق على فمه لنتن رائحته. وأم حكيم حفيدة سُعدى هي إحدى زوجات الخليفة هشام بن عبد الملك. ولها أخبار كثيرة ولعلّ من أشهر أخبارها كأس أم حكيم «الذي كانت تشرب فيه مشهور عند الناس إلى اليوم. وهو في خزائن الخلفاء»، وكي لا نرهق نصنا، سننقل الحديث عن هذه المرأة التي تقدّم لنا إطلالة جديدة على المرأة في التراث العربي إلى الهوامش[64].

= من عبد الملك، والله لا يزيدها على ألف دينار ولا يزيدك على خمسمئة دينار، ولها عندي خمسون ألف دينار. ولك عندي عشرة آلاف دينار إن زوجتنيها. فزوجه إياها على ذلك. فغضب عليه عبد الملك، وقال: دخل علي في خطبتي والله. وقال: لا يخطب على منبر، ما دمت حياً ولا رأى مني ما يحب فأسقطه. فقال يحيى: لا أبالي كمكتان وزينب. يقول: «لا أبالي إذا وجدت كعكعتين آكلهما، وكانت عندي زينب، وفي رواية: فجعل يحيى يقول:

ألا لا أبالي اليوم ما فعل الدهر   إذا بقيت لي كعكتان وزينب

ويقال إن عبد الملك لما تزوجها يحيى، قال: لقد تزوجت أفوه غليظ الشفتين. فقالت زينب: هو خير من أبي الذباب فما له يعيبه بفمه، وقال يحيى: قولوا له أقبح من فمي ما كرهت من فمك.

64- إضافة إلى الأغاني. راجع مختصر تاريخ دمشق لابن منظور: 28/255-256، ومعجم البلدان 4/355-356: وأم حكيم بنت يحيى ويقال: بنت يوسف بن يحيى بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. أمها زينب بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومية. امرأة شاعرة. ومما يروى من شعرها: *(من البحر الطويل)*

ألا فاسقياني من شرابكما الوردي   وإن كنت قد انفدت فاستر هنا بردي
سواري ودملوجي وما ملكت يدي   مباح لكم نهب، فلا تقطعوا وردي

تزوجها عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك، فطلقها، ثم تزوجها هشام بن عبد الملك، فولدت له يزيد بن هشام، وإلى أم حكيم هذه ينسب سوق أم حكيم. وقصر أم حكيم الذي عند مرج الصفر.

قال الأصفهاني: لما عقد النكاح بينهما عقد في مجلس عبد الملك وأمر بإدخال الشعراء ليهنئوهم بالعقد ويقولوا في ذلك أشعاراً كثيرة يرويها الناس، فاختير منهم جرير وعدي بن الرقاع، فأمر لكل منهما بعشرة آلاف درهم، وقضى لأهله ومواليه يومئذ مئة حاجة وأمر لجميع من حضر من الحرس والكتاب بعشرة دنانير عشرة دنانير. =

كان لسُعْدَى بنت الحارث مكانة كبيرة في الإسلام، فهي زوجة الصحابي طلحة بن عبيد الله، أحد العشرة المبشرين بالجنة وقرن أبو بكر الصديق وأحد أوائل المسلمين، وهي صحابية جليلة وراوية للآثار من الثقات، وقد روت عن زوجها وعن عمر بن الخطاب وعن غيرها من الصحابيات، وروى عنها ابنها يحيى[65].

لأنه لا يوجد مرجع آخر نتأكد منه ما إذا كانت سُعدى معلمة لحُبَّى نقول: إن عظم مكانة سُعدى في مجتمع المدينة يؤكد أن ما كانت تقوم به حُبَّى وسُعدى من قبلها. إنما هي رسالة إنسانية، لا عيب فيها كما يمكن أن ينظر إليها بعض صغار العقول ومن ينشغلون بالتفاصيل السخيفة.

= كأس أم حكيم

وكانت أم حكيم منهومة بالشراب مدمنة عليه تكاد لا تفارقه، وكأسها الذي كانت تشرب فيه مشهور عند الناس إلى اليوم، وهو في خزائن الخلفاء حتى الآن وفيه يقول الوليد بن يزيد:

علـلانـي بـعـاتـقـات الـكـروم	واسـقـيـانـي بـكـأس أم حـكـيـم
إنـهـا تـشـرب الـمـدامـة صـرفـاً	فـي إنـاء مـن الـزجـاج عـظـيـم

ويقال: إن هذا الشعر بلغ هشاماً فقال لأم حكيم: أتفعلين ما ذكره الوليد؟ فقالت: أو تصدقه الفاسق في شيء فتصدقه في هذا؟ قال: لا. قالت: فهو كبعض كذبه... قال الأصفهاني: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثني محمد بن موسى قمطر عن إسماعيل بن مجمع قال: كنا نخرج ما في خزائن المأمون من الذهب والفضة فنزكّي عنه، فكان فيما يزكّى عنه قائم كأس أم حكيم وكان فيه من الذهب ثمانون مثقالاً، قال محمد بن موسى: سألت إسماعيل بن مجمع عن صفته، فقال: كأس كبير من زجاج أخضر مقبضه من ذهب هكذا ذكر إسماعيل، وقد حدثني علي بن صالح بن الهيثم بمثله قال: حدثنا إبراهيم بن أحمد المادرائي قال: لما أخرج المعتمد ما في الخزائن ليباع في أيام ظهور الناجم بالبصرة أخرج إلينا كأس أم حكيم فكان كأساً مدوراً على هيئة القحف يسع ثلاثة أرطال فقوم بأربعة دراهم، فعجبّنا من حصول مثله في الخزانة مع خساسة قدره فسألنا الخازن عنه، فقال: هذا كأس أم حكيم فرددناه إلى الخزانة، ولعل الذهب الذي كان عليه أخذ منه حينئذ ثم أخرج ليباع.

65- توضيح المشتبه: 5/101، 7/325.

دارِ حُبَّی

تقع المدينة المنورة (يثرب) في حرَّة سبخة الأرض ولها نخيل كثيرة ومياه، ونخيلهم وزروعهم تسقى من الآبار، وللمدينة سور والمسجد في نحو وسطها، وقبر النبي صلى الله عليه وسلم في شرقي المسجد[66]. ومن خصائص المدينة أنها طيبة الريح. وللعطر فيها فضل رائحة لا توجد في غيرها، وتمرها الصّحياني لا يوجد في بلد من البلدان مثله، ولها حبّ اللبان ومنه يحمل إلى سائر البلدان[67]. هذه الجغرافية جعلت من مجتمع المدينة مجتمعاً ينعم بحياة الاستقرار كمجتمع زراعي معتمد على الآبار.

ذكر ابن طاهر، وإسناده إلى محمد بن إسماعيل البخاري، قال: المديني هو الذي أقام بالمدينة ولم يفارقها، والمَدَني الذي تحول عنها وكان منها، والمشهور عندنا أن النسبة إلى مدينة الرسول مدَني مطلقاً، وإلى غيرها من المدن مديني للفرق لا لعلة أخرى[68]. لذلك فإن الاختلاف في تسمية حُبَّى بـ «المدنية» أو «المدينية» أو «المدينة» يعود لاختلاف أهل العلم في ذلك.

عموماً فإن المرويات العربية ـ فيما بين أيدينا من مصادر ـ تظهر أن حُبَّى ولدت وعاشت وماتت في المدينة.

66- معجم البلدان: 82/5.

67- معجم البلدان: 87/5. الحيوان، للجاحظ: 142/3-143.

68- معجم البلدان: 83/5.

دار حُبَّى[69]

خلال عملي على تحديد منزل حُبَّى في المدينة واجهتني صعوبة نتجت عن التشويش الذي وضعتنا به المخطوطات الرئيسية التي أرّخت للمدينة، وأقصد بالتحديد «تاريخ المدينة المنورة» لابن شبّة. و «وفاء الوفا في أخبار دار المصطفى» للسمهودي. إذ نجد أن محققي نسخ المخطوطات النادرة في عصرنا جعلونا نقع أسرى التشويش، وهذا ظهر في مجال بحثنا عند ذكر «دار حُبَّى»، فبعض النسخ تذكره «دار جُبَّى» وفي أخرى «دار حُبَّى» وربما كان التشويش الذي أوقعنا به محققو تلك التواريخ ناتج عن خطأ وقع به النسّاخ أو لجهل المحققين باسم حُبَّى. أو لأسباب تعود إلى أن «ابن شبّة» تفرّد في الإشارة إلى أن «حُبَّى» كانت مرضعة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ونحوه نحا السمهودي، وربما تحرج رواة الأخبار والمؤرخون المسلمون ومن بعدهم المحققون من ذكرها لاشتهار أخبارها.

نقرأ في تاريخ المدينة لابن شبة، وعليه استند مؤرخ المدينة السمهودي:

69- راجع وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ص740، لنور الدين علي بن عبد الله السمهودي المتوفى 911 هـ. حققه: محمد محي الدين عبد الحميد. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، وفي هذه النسخة يقرأ المحقق تارة «حبى» وأخرى «جبى». وانظر أيضاً: تاريخ المدينة 237/1، لابن شبّه أبو زيد عمر بن شبه النميري البصري (173 ـ 262 هـ) تحقيق: فهيم محمد شلتوت، وفيه اعتمد المحقق على كتاب وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى 72/3، الذي حققه الدكتور قاسم السامرائي وصدر عن مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ـ مكة المكرمة، وفي الكتابين ورد الاسم «جبى».

وقد لجأ محقق «تاريخ المدينة» فهيم شلتوت لكتاب «وفاء الوفا» في تثبيت اسم جبى نظراً لصعوبة قراءة نسخة المخطوط التي اعتمدها فهو يؤكد في مقدمته (ز) أن: «خط الكتاب تتعذر قراءته، والخرم والسقط فيه كثير»، إضافة لكون المخطوط كما يقول في مقدمته صفحة (م): «كتبت بخط دقيق غير منقوط إلا نادراً، ولا نستطيع أن نحكم عليه بأنه نسخي عادي، ولا أنه ينتسب للون بعينه من ألوان الخط العربي».

لم أجد فيما بين يدي من مراجع ذكراً لاسم «جبى» فيما سمى العرب من أسماء. ولكني وجدت في «معجم قبائل العرب لعمر رضا كحالة» قبيلة باسم «جبا»: عشيرة من ميمون، من بني سالم، من حرب. تقيم على طريق المدينة المنورة بالحجاز: 159/1.

«قال ابن شبة: اتخذ سعد (بن أبي وقاص) رضي الله عنه[70] داراً في قبلة دار إبراهيم بن هشام المخزومي بالبلاط في غربيها، وهي دبر دار حُبَّى[71] ولها في دار حُبَّى طريق مسلمة، وهي بأيدي ولد سعد اليوم. وقد سمعت بعض من يقول: كانت دار حُبَّى لسعد، وهي هذه الدار التي ذكرناها في قبلة دار إبراهيم بن هشام. وأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان قاسمه إياها، فكانت دار حُبَّى[72] قسيمة هذه الدار، حين قاسمه ماله مقْدَمَ سعد من العراق (راجع شكل رقم 1)[73]، وأن عمر رضي الله عنه لما قاسمه إياها. باعها من عثمان بن عفان باثني عشر ألف درهم، ثم صارت لعمرو بن عثمان. وكانت حُبَّى أرضعت عمر، فوهب لها الدار، فكانت بيدها حتى سمعَت نقيضاً في سقف بيتها الذي كانت تسكن، فقالت لجاريتها: ما هذا؟ فقالت: السقف يُسَبِّح. قالت: ما سَبَّحَ شيء قط إلا سَجَد[74]، لا والله لا سَكَنْتُ هذا البيت. فخرجت منه فاضطربت خباء بالمصلى. ثم باعت الدار من بعض ولد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فهي بأيديهم إلى اليوم. قال: وسمعت من يقول إن عثمان نفسه رضي الله عنه أقطعها حُبَّى. فالله أعلم».

نعلم إذاً أن دار الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، كانت

---

70 كانت دار الصحابي سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، في الجهة الجنوبية الشرقية من المسجد، في قبلة دار إبراهيم بن هشام، ولعلها دخلت في دار حسن بن زيد. وسعد هو أحد العشرة والسابقين الأولين وأول من رمى بسهم في سبيل الله وأحد الستة أصحاب الشورى، وفاتح القادسية. ولي الكوفة زمن عمر وعثمان، عاد إلى المدينة في عهد عثمان (بيوت الصحابة حول المسجد النبوي الشريف، ص74-75).

71 اعتمدت كتابة اسم حُبَّى لتجنب التشويش الذي خلط فيه المحققين.

72- يرد الإسم هنا جُبى.

73- بيوت الصحابة، ص60.

74- ذكر اليوسي في «زهر الأكم في الأمثال والحكم» 25/2: حكي أن رجلاً دخل داراً ينظرها ليشتريها فسمع في بعض خشبها صوتاً فقال: ما هذا؟ فقال صاحب الدار: أعزك الله! هذا السقف يُسبّح لله عز وجل. فقال: أخشى أن يلحقه الخشوع فيسجد.

في الجهة الجنوبية الشرقية من المسجد النبوي. ولعلها دخلت في دار حسن بن زيد[75].

تفيدنا رواية ابن شبة بتقدير تاريخ للفترة التي وهب فيها الخليفة عمر بن الخطاب داراً لمرضعته حُبَّى، قبيل وفاته بعامين، إذ إن ذلك تم بعد مَقدم سعد من العراق إلى المدينة إثر عزل الخليفة عمر له عن ولاية الكوفة سنة 21 للهجرة[76].

هل حُبَّى هي مرضعة عمر بن الخطاب؟

ولكن التدقيق في المعلومات السابقةيتطلب منا مزيداً من التأني في التعامل مع المعلومات التي بين أيدينا على قلّتها، إذ كيف نتأكد من أن حُبَّى مرضعة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه هي ذاتها حُبَّى المدنية التي نتحدث عنها؟

تبرز صعوبة الإجابة عن هذا التساؤل من شحّ المعطيات «التاريخية» فيما يتعلق ببحثنا عن «حواء المدينة حُبَّى»، ونكاد لا نجد من هذه المعلومات إلا في الرواية التي قدمها ابن عساكر في تاريخ دمشق عن مقتل الشاعر العذري هدبة بن الخشرم[77].

فهذه الرواية أتاحت لنا إعادة تتبع طريق هُدبة إلى حتفه، ذلك أنه التقى في طريقه حُبَّى المدنية.

نقرأ في تاريخ دمشق: «لما خُرج بـ «هدبة» ليقاد منه بالحرّة جعل ينشد الأشعار، فقالت له حُبَّى المدنية: ما رأيت أقسى قلباً منك، أتنشد الشعر

75- بيوت الصحابة، ص75.

76- تاريخ الطبري، ص685. وفي سنة 21 للهجرة ولّى عمر بن الخطاب عمار بن ياسر على الكوفة، وبعد وفاته آخر سنة 23 للهجرة أوصى عثمان بأن يولي سعد الكوفة إلى أن عزله هو الآخر سنة 26 للهجرة (الطبري، ص725)، فاستقر سعد بعدها في المدينة إلى أن توفي سنة خمس وخمسين، وقيل ثمان وخمسين للهجرة.

77- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: 27/71-72.

وأنت يُمضى بك لتُقتل، وهذه «تعني امرأته» كأنها ظبّي عطشان تولول؟ فوقف، ووقف الناس معه، وأقبل على حُبَّى فقال:

فما وجدت وجدي بها أمّ واحد ... ولا وجدَ حُبَّى بابن أم كلاب
رأته طويل الساعدين شمردلاً ... كما انتعتت من قوة وشبابِ

فأغلقت حُبَّى في وجهه الباب وسبّته»[78].

نعرف من هذه الرواية أن دار حُبَّى كانت في المدينة على طريق الحرّة.

أين تقع الحرَة التي قُتل فيها هدبة؟

الحرَة. كما يقول ياقوت في معجم البلدان: أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار (حجر بركاني). والحرار في بلاد العرب كثيرة، أكثرها حوالي المدينة إلى الشام[79].

وفي حديث نبوي عن أبي هريرة: «فلو وجد الظباء ما بين لابتيها ما ذَعَرتُها، وجعل اثني عشر ميلاً حول المدينة حِمى»، وفي صحيح مسلم حديث لجابر عن الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن إبراهيم حرَّم مكة، وإني حرَّمت المدينة ما بين لابتيها، لا تقطع عضاهُها ولا يُصاد صيدها». وفي حديث أبي سعيد الخدري: «حرّمت المدينة حراماً ما بين لابَّتيها، أن لا يُهراق فيها دم، ولا يحمل فيها سلاح لقتال، ولا يُخبط فيها شجرة إلا لعلف»[80].

78- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: 72/27.

79- معجم البلدان: 2/245-246، راجع القاموس المحيط، شرح: الحَرُّ والحَرَّةُ: البَثْرَةُ الصَّغيرةُ، والعذابُ المُوجِعُ، والظُّلْمَةُ الكثيرةُ، وموضعٌ وقْعَةِ حُنَيْنٍ، وع بتَبُوك، وبنَقَدَةَ، وبينَ المدينةِ والعَقيقِ، وقِبْلِيَّ المدينةِ، وبِبِلادِ عَبْسٍ، وبِبِلادِ فَزَارَةَ، وبِبِلادِ بني القَيْنِ، بالدَّهْناءِ، وبعاليةِ الحجازِ، وقربَ فَيْدٍ، وبِجبالِ طيئٍ، وبأرضِ بارِقٍ، وبنجدٍ قربَ ضَرِيَّةَ، وع لبني مُرَّةَ، وقربَ خَيْبَرَ وهي حَرَّةُ النارِ، وبظاهرِ المدينةِ تحتَ واقمٍ، وبها كانَتْ وقعةُ الحَرَّةِ أيامَ يَزيدَ، وبالبُرَيك في طريقِ اليمنِ، وحَرَّةُ غَلاَّسٍ ولُبنٍ ولَفْلَفٍ وشورانَ والحمارَةِ وجَفْلٍ ومبطانَ ومَعْشرٍ وليْلَى وعَبَّادٍ والرَّجْلاءِ وقَمْأةَ: مَواضِعُ بالمدينة.

80- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى: 1/188-189.

قال السمهودي مؤرخ المدينة: «ما بين لابَتيها»، أي: حَرَّتيها، الشرقية والغربية، والمدينة بينهما، ولها أيضاً حَرَّة بالقِبلة وحَّرة بالشام، لكنهما يرجعان إلى الشرقية والغربية لاتصالهما بهما، ولهذا جمعها صلى الله عليه وسلم كلها في اللابتين، كما نبّه عليه الطبري. قال النووي: وهو حَدُّ الحرم من جهة المشرق والمغرب، وما بين جبليها: بيان لحده من جهة الجنوب والشمال[81]. (يقصد جبلي عير وثور).

الملاحظ أن ابن عساكر ذكر الحرّة كاسم علم، ولم يحدد أي الحرار يعني رغم أن للعرب حراراً كثيرة ومعروفة والسبب في ذلك يعود إلى أن الحرة المقصودة هي التي اشتهرت في التاريخ العربي بـ «وقعة الحرة» سنة 63 للهجرة، وأصبح لها يوم شهري في تاريخهم. وللواقدي كتاب تسمى بها «الحرة». يقول السمهودي إن هذه الحرة هي: حرة شرقي المدينة حدثت فيها وقعة الحرة، حيث استباح يزيد بن معاوية أهل المدينة وقتل أهلها، ويقال لها: حرة زهرة، وكانت الوقعة بموضع يعرف بواقم على ميل من المسجد النبوي[82].

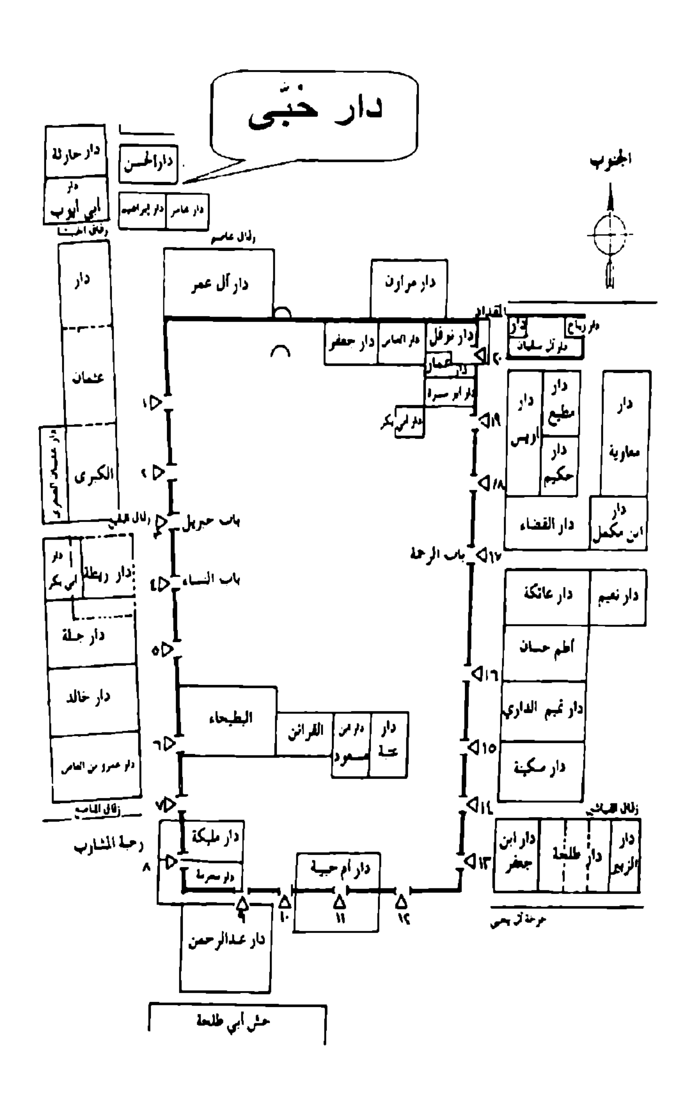
81- وفاء الوفا: 1/191.

82- راجع وفاء الوفا: 1/250، وأيضاً: 1/247، طبعة مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي: يذكر السمهودي أنه في هذه الوقعة قُتل قائد جيش يزيد ابن معاوية ألف وسبعمئة من بقايا المهاجرين والأنصار وخيار التابعين، وقتل من أخلاط الناس عشرة آلاف سوى النساء والصبيان. وقتل بها من حملة القرآن سبعمئة رجل. وفي رواية ياقوت في معجم البلدان: 2/249: حرة واقم: إحدى حرتي المدينة، وهي الشرقية، وفي هذه الحرة كانت وقعة الحرة المشهورة سنة 63 للهجرة حيث دخل جند يزيد المدينة فنهبوا واستباحوا الفروج، وحملت منهم ثمانمئة حُرة وولدن. وكان يقال لأولئك الأولاد أولاد الحرة. ثم أحضر أمير جيش يزيد «مسلم بن عقبة المُري» الأعيان لمبايعة يزيد بن معاوية فلم يرض إلا أن يبايعوه على أنهم عبيد يزيد بن معاوية، فمن تلكأ أمر بضرب عنقه. وفي وفاء الوفا 1/259: قال ابن الجوزي بسنده إلى المدائني، عن أبي قرة، قال: قال هشام بن حسان: ولدت بعد الحرة ألف امرأة من غير زوج.

وفي لسان العرب، شرح «حرر»: الحَرَّةُ: أرض بظاهر المدينة بها حجارة سود كبيرة =

ولأن منزل حُبَّى في الجهة الجنوبية الشرقية، فهذا يعني أن طريقه إلى الحرّة الشرقية مرّ بدار حُبَّى مرضعة الخليفة عمر بن الخطاب، وهو الذي أثبتناه في المخطط التالي:

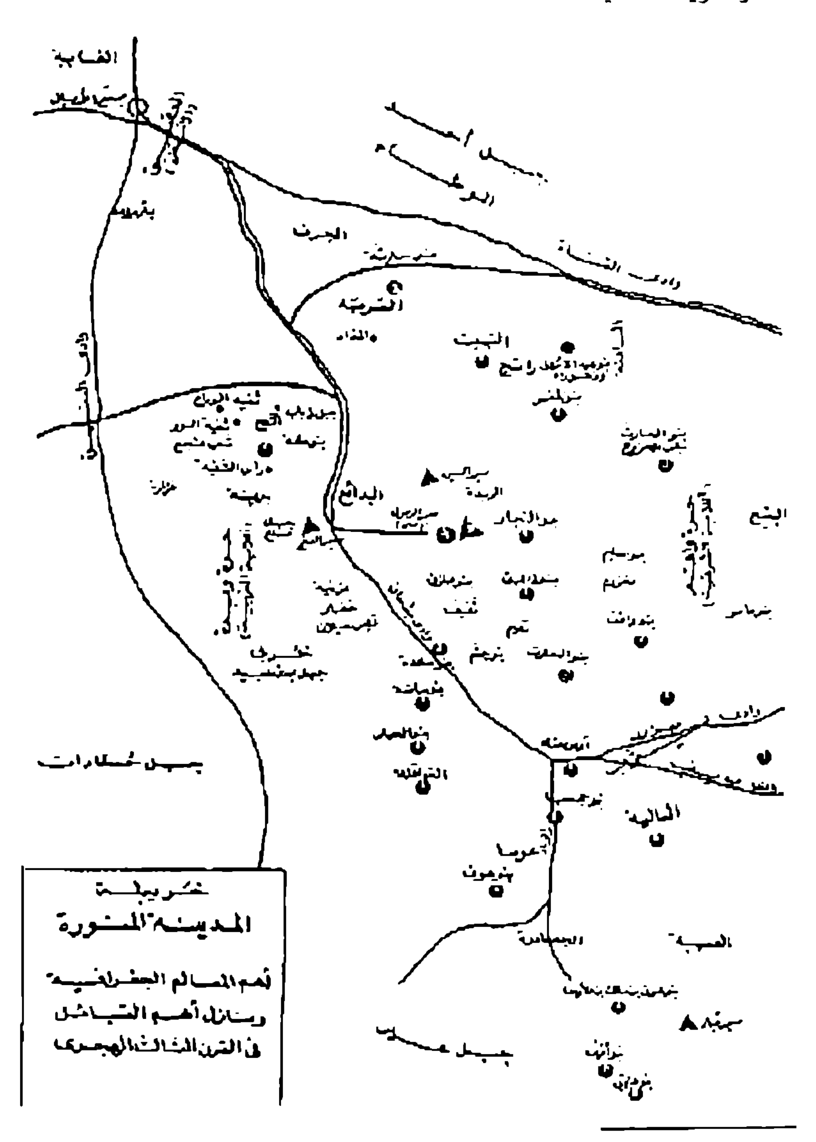
= كانت بها وقعة، وللعرب حِرارٌ معروفة ذوات عدد، حَرَّةُ النار لبني سُليم، وهي تسمى أم صَبَّار، وحَرَّة ليلَى وحرة راجِل وحرة واقِم بالمدينة وحرة النار لبني عَبْس وحرة غَلأس.



المخطط رقم 1

رسم تقريبي لمواقع بيوت الصحابة رضي الله عنهم حول المسجد النبوي الشريف بعد توسعة المهدي سنة 165 هـ.

انظر خريطة المدينة[83]



83- أهم منازل القبائل في المدينة المنورة، من رسالة دكتوراه لعطية عبد العزيز، ص345، أورد الرسالة محقق كتاب أخبار المدينة لابن زبالة، ص183.

زوج حُبَّى

يقول الجاحظ: تزوّجتْ حُبّى المدنية عبيد ابن أمِّ كلاب، وهو فتى حدثٌ[84]، وكانت هي قد زادت على النَّصَف[85]. بحسب الجاحظ فإن النساء إذا «اكتهلن وبلغت المرأة حدّ النَّصَف فعند ذلك يقوى عليها سلطانُ الشَّهوةِ والحرص على الباه. فإنما تهيج الكهلة عند سُكون هيج الكهل وعند إدبار شهوته، وكلال حدِّه»[86].

وهكذا فإن حُبّى عشقت وتزوجت، وهي تقارب الخمسين من عمرها، شاباً قوي البنية، فحلاً، اسمه عبيد بن سلمة الليثي، أو عبيد بن آدم، أو عبيد بن أم كلاب نسبة لأمه أم كلاب[87]. وعبيد هذا تبخل المصادر التاريخية في تعريفنا به رغم اشتهار قصة زواجه من حُبّى ودخول قصتهما في عالم القصص والشعر العربي، إضافة إلى ارتباط اسمه في المرويات العربية بقصة مقتل الخليفة عثمان.

عملية البحث عنه لا تقودنا إلا إلى نتف متناثرة هنا وهناك سنلملمها، لنكوّن صورة عن هذا الرجل الذي حاز اهتمام «حواء المدينة» في آخر أيامها،

84- الفتى: هو الشابُّ من كل شيء.

85- الحيوان، الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، 75/6، 200/2. النَّصَف، بالتحريك، المرأة بين الحَدَثة والمُسِنَّة، والنصَف من النساء التي قد بلغت خمساً وأربعين ونحوها، وقيل: التي قد بلغت خمسين. (لسان العرب، شرح: نصف).

86- الحيوان: 534/3.

87- تهذيب الكمال، للمزي: 368/14، يذكره فيمن روى عن «عبد الله بن جعفر بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبو جعفر المدني الجواد ابن الجواد وأمه أسماء بنت عميس الخثعمية».

وكان طلبها له بالزواج أقوى من أن يرفضه وهو الشاب الفحل المقبل على الحياة.

يقول ابن سعد في طبقاته: إن عبيد «سمع من عمر بن الخطاب، وهو عبيد بن سلمة الليثي، وهو الذي خرج من المدينة بقتل عثمان، فاستقبل عائشة بسَرِف فأخبرها بقتله وبيعة الناس لعلي بن أبي طالب، فرجعت إلى مكة. وكان عبيد علوياً»[88]. ويذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني في الإصابة عبيد بن أم كلاب بين أسماء من عاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يره، ويقول: «إن عبيد له إدراك ورواية». يضيف ابن حجر: كان عبيد يمدح عبد الله بن جعفر وحديثه عنه في تشميت العاطس[89].

وعبيد بن أم كلاب، برواية الطبري وابن الأثير، هو رجل من أخوال عائشة رضي الله عنها زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم، من بني ليث[90]. وفي رواية الطبري[91]: عبيد بن أبي سلمة يعرف بأمه أم كلاب، وهو رجل من

88- طبقات ابن سعد: 90/7.

89- تعجيل المنفعة: 854/1 (هامش): «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عطس حمد الله جل ذكره، فيقال له: يرحمك الله، فيقول: يهديكم الله ويصلح بالكم»... يرويه عبيد بن أم كلاب عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه (ذي الجناحين).

90- الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ص406.

تزوج أبو بكر في الجاهلية أم رومان - بفتح الراء وضمها - واسمها زينب بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة بن سبيع بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «من سره أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أم رومان»، ولدت له عائشة رضي الله عنها التي تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، في شوال سنة عشر من النبوة، قبل الهجرة بثلاث سنين، وهي بنت ست أو سبع، وبنى بها بالمدينة على رأس سبعة أشهر من الهجرة، وهي ابنة تسع سنين، وتوفي عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي بنت ثمان عشرة سنة وكانت أحب النساء إليه. (نهاية الأرب في فنون الأدب).

91- تاريخ الرسل والملوك، ص799. (وفي رواية: أن الذي لقي عائشة بعد مقتل عثمان وأخبرها بمقتله عند عودتها لمكة اسمه أخضر، ومنه المثل: «أكذب من أخضر»).

أخوال عائشة من بني ليث[92] وكانت واصلة لهم، رفيقة عليهم. وهو الذي أخبر عائشة رضي الله عنها بمقتل الخليفة عثمان بن عفان.

ويلقي ابن حجر في تعريفه بـ «عبيد» الضوء على وجه جديد لـ «حُبَّى» إذ نجده في هذه الرواية يقول إن حُبَّى كانت مغنية مشهورة في المدينة، ولعبيد المذكور قصة مع حُبَّى المدنية المغنية المشهورة، وكانت راغبة في تزوّجه مع كبر سنها وهو شاب. فاشترط عليها شروطاً ودخل بها، (ولم تخبرنا المصادر التي بين أيدينا عما كانت عليه تلك الشروط). وذكر ابن الكلبي شعراً لعُبيد كان يخاطب فيه أم المؤمنين عائشة[93]. (سنورده أدناه نقلاً عن الطبري).

كان عبيد يروي عن عبد الله بن جعفر. وروى عنه أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل المدني تيم عروة. وروى له الطبراني، وأحمد، وأبو جعفر الطحاوي[94].

---

92 راجع نسب قحطان وعدنان، للمبّرد، ص4، وفيه: «بنو ليث: من بطون بكر بن عبد مناة ومن بطون بنو ليث: بنو سعد بن ليث، وبنو جندع بن ليث رهط نصر بن سيار، وبنو يعمر الشداخ. وأيضاً (معجم قبائل العرب، ص1019/3): ليث بن بكر: بطن من كنانة ابن خزيمة، من العدنانية، وهم: بنو ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. يتفرع عنهم بنو الملوح بن يعمر، وهو الشداخ. كانوا يقيمون حول مكة، يسكنون ينبع، ويقيمون بساقية قلتة من بلاد صعيد مصر.

93 تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة: 854/1-855.

94 مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار: 288/2، وراجع أيضاً: «حواشي مختصر مغاني الأخيار» للشيخ تراب رشد الله شاه السندي، و«تعجيل المنفعة» لابن حجر. والإصابة في معرفة الصحابة، 103/5 وفيه: «أخرج أحمد في الزهد حديثاً عن عمر يقول: لا يعجبنكم طنطنة الرجل، ولكن من أدى الأمانة وكف عن أعراض الناس فهو الرجل». والحديث يروى عن عبيد بن أم كلاب أنه سمع عمر وهو يخطب...

وله حديث نقله البخاري في التاريخ الكبير: محمد بن خوط. قال لي إبراهيم بن المنذر عن عباس بن أبي شملة سمع محمداً عن عيسى بن النعمان الزرقي عن عبد العزيز بن علي بن هبار عن ابن أم كلاب أنه جاء المسجد فوجد ابن الخطاب على المنبر يقول: سيتكلم من بلدكم هذا أقوام فعظوهم، فإن أبوا فاسجنوهم، فإن أبوا فاضربوا =

ونستطيع أن نستخلص من شعر هدبة بن الخشرم أن الشاعر والراوية عبيد بن سلمة الليثي الذي هامت به حواء المدينة حُبَّى وعشقته، كان فارساً طويلاً، صاحب قوام حسن، محارباً قوياً، حسن الخلق. هذه الصفات صورها لنا هدبة بأجمل صور الشعر العربي[95] بقوله يخاطب امرأته:

وَجَدْتُ بها ما لم تجد أمُّ واحد ... ولا وجدَ حُبَّى بابن أم كلاب
رأته طويل الساعدين شمردلاً ... كما تشتهي من قُوة وشَبابِ

ويروى الشطر الأول من البيت الثاني: «رأته طويل الساعدين عنطنطاً»[96].

ويفهم من تمرس العرب بشؤون الحرب والقتال لماذا يكون وصف «طول الساعدين» مدحاً للرجل، لأنه يحقق بذلك شرطاً أساسياً وهو أن صاحب اليدين الطويلتين يصل إلى عدوه دون أن يمكّن عدوه منه. أما «الشمردل» فهو القَوِيُّ السريع الفَتِيُّ الجَلْدُ، الحَسَنُ الخَلْق. ويقال للجَمَل: شَمَرْدَلٌ،

= أعناقهم بالسيف، يا ليتني لها عمر، كأنه يعني القدرية.

وفي تهذيب العمال 143/14: عن عبيد بن آدم قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لكعب رضي الله عنه: أين ترى أن أصلي؟ إن أخذت عني صليت خلف الصخرة فكانت القدس كلها بين يديك. فقال عمر: ضاهيت اليهودية، لا، ولكن أصلي حيث صلى النبي صلى الله عليه وسلم. فتقدم إلى القبلة فصلى (ثم جاء فبسط رداءه فكنس الكناسة في ردائه وكنس الناس). أخرجه الإمام أحمد في مسنده: 38/1، وما بين الحاصرين استدراك منه. (راجع كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال).

الخصائص الكبرى للسيوطي، ص54: أخرج ابن عساكر عن عبيد بن آدم وأبي مريم وأبي شعيب بن عمر أن عمر بن الخطاب كان بالجابية فقدم خالد بن الوليد إلى بيت المقدس فقالوا له: ما اسمك؟ قال: خالد بن الوليد. قالوا: وما اسم صاحبك؟ قال: عمر بن الخطاب. قالوا: أنعته لنا. فنعته. قالوا: أما انت فلست تفتحها ولكن عمر، فإنا نجد في الكتب كل مدينة تفتح قبل الأخرى وكل رجل يفتحها نعته. وانا نجد في الكتاب أن قيسارية تفتح قبل بيت المقدس فاذهبوا فافتحوها ثم تعالوا بصاحبكم.

95- ديوان هدبة بن الخشرم، ص78-79.

96- تعجيل المنفعة: 855/2.

و«العنطنط» هو الطويل من الرجال، ويستخدم وصفاً لـ «طولُ العُنُق وحُسْنُه».

عبيد الشاعر

نادرة هي الأشعار التي عثرنا عليها لزوج حواء المدينة، منها بيت يرويه التوحيدي في البصائر والذخائر لابن أم كلاب[97]، يقول فيه:

صَفاً صَلدة عند النَّدى ونعامةٌ

إذا الحَرب أبدت عن نواجذها الثعل

لكن أشهر شعر عبيد هو ما قاله بحق عائشة أم المؤمنين، فعبيد كما ذكرنا يرتبط ذكره في التراث العربي بواحدة من أشهر المرويات العربية التي شكلت مفصلاً أساسياً في التاريخ الإسلامي، وهي حادثة طلب الثأر لدم الخليفة عثمان.

تقول أحداث المروية كما يرويها الطبري في تاريخه[98]: لما انتهت عائشة رضي الله عنها إلى سَرِف[99] راجعة في طريقها إلى مكة، لقيها عبد بن أم كلاب وهو عبد بن أبي سلمة[100] ينسب إلى أمه، فقالت له: مهيم[101]؟ قال:

---

97 البصائر والذخائر: 174/3، لأبي حيان التوحيدي، تذكر محققة الكتاب أن الأصفهاني في كتاب الأغاني يروي البيت لابن ميادة في هجاء أيوب بن سلمة.

98- تاريخ الرسل والملوك، ص803، أحداث سنة 36، والكامل في التاريخ لابن الأثير، ص406. سند الخبر كما يقول الطبري على الشكل التالي: كتب إلي علي بن أحمد بن الحسن العجلي أن الحسين بن نصر العطار قال: حدثنا أبي نصر بن مزاحم العطار قال: حدثنا سيف بن عمر عن محمد بن نويرة وطلحة بن الأعلم الحنفي قال: وحدثنا عمر بن سعد عن أسد بن عبد الله عمن أدرك من أهل العلم «ثم رواه».

99 موضع من مكة على عشرة أميال، وقيل: أقل وأكثر، وفي الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة بِسَرِف. (راجع سرف، لسان العرب).

100- هكذا ذكر اسمه الطبري عبد وليس عبيد كما في طبقات ابن سعد.

101- مَهْيَمْ: كلمة يمانية معناها: ما أَمْرُك؟ وما هذا الذي أرى بكَ؟ ونحو هذا من الكلام: قال الأزهري: ولا أعلم على وزن مَهْيَمْ كلمةً غير مَرْيَمْ. الجوهري: مَهْيَمْ كلمة يستفهم بها، معناها: ما حالُك؟ وما شأْنُك؟ (راجع مهيم، لسان العرب).

قتلوا عثمان رضي الله عنه. فمكثوا ثمانياً. قالت: ثم صنعوا ماذا؟ قال: أخذها أهل المدينة بالاجتماع، فجازت بهم الأمور إلى خير مجاز، اجتمعوا على علي بن أبي طالب. فقالت: والله ليت أن هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك! ردوني ردوني. فانصرفت إلى مكة. وهي تقول: قتل والله عثمان مظلوماً، والله لأطلبن بدمه. فقال لها ابن أم كلاب: ولم؟ فوالله إن أول من أمال حرفه لأنت! ولقد كنت تقولين: اقتلوا نعثلاً فقد كفر، قالت: إنهم استتابوه ثم قتلوه، وقد قلت وقالوا، وقولي الأخير خير من قولي الأول، فقال لها ابن أم كلاب:

فمنكِ البداء ومنك الغير	ومنك الرياح ومنك المطر
وأنتِ أمرت بقتل الإمام	وقلت لنا إنه قد كفر
فهبنا أطعناك في قتله	وقاتله عندنا من أمر
ولم يسقط السقف من فوقنا	ولم ينكسف شمسنا والقمر
وقد بايع الناس ذا تُدْرَأ[102]	يزيل الشباب ويقيم الصغر
ويلبس للحرب أثوابها	وما من وفى مثل من قد غدر

فانصرفت إلى مكة، فنزلت على باب المسجد فقصدت للحجر. فسترت واجتمع إليها الناس، فقالت: يا أيها الناس إن عثمان رضي الله عنه قتل مظلوماً، ووالله لأطلبن بدمه.

دار أم كلاب
وأسطورة أحجار الزيت واهراق الخمر

ترتبط دار والدة زوج حُبَّى واسمها «أم كلاب»، بمرويتين عربيتين فريدتين

102- التدرأ: القويّ على دفع أعدائه عن نفسه، يقال: إنه لَذُو تُدْرَإ وذو تُدْرَءٍ إذا كان هَجَّاماً على أعدائه من حيث لايحتسبون؛ المِدْرَه: السيد الشريف، سمي بذلك لأنه يقوى على الأُمور ويَهْجُم عليها، مشتق من ذلك. (راجع شرح دري في مقاييس اللغة. ودره في لسان العرب).

لا بد من الوقوف عندهما، الأولى تسمى بحادثة «أحجار الزيت»، والثانية تسمى بحادثة «إهراق الخمر».

يقول ابن شبة: إن دار عبيد ابن أم كلاب هي دار أمه، أم كلاب، ونسبه يعود لها، وتقع تلك الدار في المدينة في بني زريق وكانت شارعة على المصلى، قبالة أحجار الزيت، قريبة من دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي[103].

صحيح أن مؤرخي المدينة اختلفوا في تحديد موضع أحجار الزيت، لكن ما يهمنا من موضوعها هو دلالاتها الرمزية وارتباطها بدار «أم كلاب». فأحجار الزيت تلك اشتهرت في التاريخ الإسلامي، يُقال، والكلام لمؤرخ المدينة السمهودي: إن الزيت رشح للنبي منه. وهو موضع صلاة الاستسقاء. وينقل السمهودي عن ياقوت أيضاً أن موضع أحجار الزيت كان موضعاً كانت فيه أحجار علت عليها الطريق فاندفنت، وقال ابن جبير: هو حجر موجود يزار[104].

103- وفاء الوفا: 75/3 89 100، تاريخ المدينة لابن شبة: 245/1.

104- وفاء الوفا: 114/4-115، تاريخ المدينة: 307/1، رواه ابن شبة في فصل ذكر أحجار الزيت، التي روى قصتها: حدثنا خلاد بن يزيد قال: حدثنا حماد بن زيد، عن أبي عمران الجوني، عن المشعث بن طريف، عن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا ذر. قلت: لبيك وسعديك، يا رسول الله. قال: كيف أنت إذا رأيت أحجار الزيت قد غرقت في الدَّم؟ قلت: ما خارَ الله لي ورسوله. قال: عليك بمن أنت معه. حدثنا محمد بن يحيى قال: أخبرني أبو ضَمْرَة الليثي، عن عبد الرحمن بن الحارث بن عبيد، عن هلال بن طلحة الفهري: أن حبيب بن مسلمة الفهري كتب إليه: أن كعباً سألني أن أكتب له إلى رجل من قومه عالم بالأرض. فلما قدم كعب المدينة جاءني كتابه ذلك، فقال: أعالم أنت بالأرض؟ قلت: نعم. قال: إذا كان بالغداة فاغْدُ عليّ. قال: فجئته حين أضْحَت، فقال: أتعرف موضع أحجار الزيت؟ قلت: نعم ـ وكانت أحجاراً بالزوراء يضع عليها الزياتون رَوَايَاهم ـ فأقبلت حتى جئتها فقلت: هذه أحجار الزيْت. فقال كعب: لا والله ما هذه صفَتها في كتاب الله، انطلق أمامي، فإنك أهدى بالطريق مني. فانطلقنا حتى جئنا بني عبد الأشهل. فقال: يا هلال، إني أجد هنا أحجار الزيت في كتاب الله، فسَل القوم عنها ـ وهم يومئذ وافرون ـ فسألتهم عن أحجار الزيت، وقال: إنها ستكون بالمدينة ملحمة عندها.

ويميز السمهودي بين موضعين. الأول: قريب من الزوراء[105] وكان الرسول يستسقي عنده ويدعو باسطاً كفيه. والثاني: الذي عنى به كعب الأحبار بمنازل بني عبد الأشهل بالحَرَّة (حرة واقم). وبه كانت واقعة الحرة، وقد تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن هذه أحجار الزيت ستغرق بالدم[106].

وهناك رواية يجمع فيها مؤرخ المدينة السمهودي ذكر أحجار الزيت وإهراق الخمر، فيقول: روى ابن زبالة من طريق جعفر بن محمد عن أبيه. قال: أمر رسول الله برواية الخمر التي أهدى له الدوسي فأهريقت بالسوق عند بيت أم كلاب حيث يُهراقُ الشراب اليوم[107]. وعن ابن شبة ينقل السمهودي: «حدثنا محمد بن يحيى، عن ابن أبي فديك قال: أدركت أحجار الزيت ثلاثةً مواجهة بيت ابن أمّ كلاب، وهو اليوم يعرف ببيت بني أسد. فعلا الكبس الحجارة فاندفنت»[108].

ارتباط أحجار الزيت، وإهراق الخمر، بدار «أم كلاب» يطرح تساؤلات عدة حول العلاقة الرمزية التي تربط هذه الدار بأحجار الزيت وإراقة الخمر على عتباتها، سيما أن الربط بين الزيت والخمر ليس محض مصادفة

105- الوفا بأخبار دار المصطفى: 310/4. الزوراء: سوق المدينة عند أحجار الزيت، وقيل الزوراء اسم لسوق المدينة. وفي صحيح مسلم عن أنس: أن نبي الله وأصحابه كانوا بالزوراء، والزوراء بالمدينة عند السوق. ويؤخذ من وصف دار السوق التي أحدثها ابن هشام: أن لعثمان بالشرق داراً تسمى الزوراء. ولذا قال ابن شبة: واتخذ عثمان الدار التي يقال لها الزوراء. انتهى. يقول السمهودي: ويؤخذ مما تقدم في فضل بقيع الغرقد: أن الزوراء أيضاً: اسم للموضع الذي دفن فيه سيدنا إبراهيم عليه السلام (311/4). وفي المغانم المطابة. ص173: الزوراء موضع بالمدينة عند السوق. وقيل أرفع دار بالمدينة قرب المسجد، واسم دار عثمان بن عفان رضي الله عنه، وحد البلاط الغربي: ما بين المسجد إلى خاتم الزوراء عند دار العباس بن عبد المطلب بالسوق. (الوفا: 68/1).

106- وفاء الوفا: 115/4.

107- تاريخ الوفا: 89/3، أخبار المدينة لابن زبالة، ص243. (هامش المحقق: في سنن الدارمي 256/2: البيوع: أن هذا الحديث في مكة: «قال: فأمر بها فأفرغت في البطحاء».

108- وفاء الوفا: 89/3 ـ 114/4، تاريخ المدينة: 307/1.

في الفكر الديني، فهما وثيقا الصلة والارتباط في الطقوس الدينية منذ الجاهلية وامتد ذلك في طقوس المسيحية منذ نشأتها حتى اليوم، ونجد أبرز تجليات هذه القدسية في المسيحية واضحة عندما جعل المسيح من الخمر دمه وارتبط اسمه بمسح الزيت. ثم إن الزيت والخمر ارتبطا ارتباطاً وثيقاً بـ «الحجر»، وهذا يؤكد أن طقوس تقديس الحجر امتدت من الجاهلية إلى الإسلام. ففي المدينة المنورة كان تقديس الحجر الأسود ركن الكعبة المشرفة في مكة. وأيضاً في المدينة نجد تقديس أحجار الزيت التي رشح منها الزيت لرسول الله عندما كان يستسقي المطر، وتحولها إلى مزار لاحقاً، ولا يخفى البعد الرمزي لعلاقة الزيت بالخصب.

وإذا كانت قدسية أحجار الزيت في المدينة ارتبطت في الإسلام بحادثة رشح الزيت منها للرسول واستسقائه عندها ورؤية غرقها بالدم ثم جعلها مزاراً، فإن لها على الأرجح قبل الإسلام أهمية رمزية، وارتباطهما بـ «أم كلاب» يتيح لنا التساؤل عما إذا كانت «أم كلاب» كاهنة من كاهنات الجاهلية؟ وهل كانت «أم كلاب» تترأس طقوس «إهراق الخمر والزيت» على العتبة كجزء من ممارسات طقسية قديمة! ويبدو أن «إهراق الخمر» لم يكن مجرد حادثة فريدة جرت مرة واحدة، وإنما كان طقساً من طقوس الجاهلية استمر في الإسلام، وهو ما نجده في تاريخ ابن زبالة الذي شهد مثل هذا الطقس، وإن اختلف معناه. يقول ابن زبالة ـ المتوفى سنة 199 للهجرة ـ مشيراً إلى دار أم كلاب قائلاً: «بيت أم كلاب حيث يهرق الشراب حتى اليوم»، فلماذا كان يراق الخمر عند عتبة بيت أم كلاب حتى في الإسلام؟

وهنا نقول إن القيمة الدينية لأحجار الزيت في المدينة، أياً كان موقعها تجلت في الإسلام في استسقاء الرسول ودعائه عندها، وقبالتها أمر بإراقة الخمر، ثم في وقت لاحق أصبحت مزاراً، وقربها تحققت نبوءة الرسول في معركة الحرَّة بأن أحجار الزيت ستغرق بالدم، وهذا ما حصل عندما دخل يزيد بن معاوية المدينة وفتك بأهلها.

فهل تتيح لنا هذه الرؤية بأن نعتبر طقس إهراق الخمر طقساً رمزياً ساد في المدينة، وهي المجتمع الزراعي المستقر، كي تبقى المدينة بمنأى عن الحروب والغزوات التي تغذي حياة البداوة، أو أنه كان طقساً من طقوس الخصب المقدس التي كانت سائدة قبل الإسلام، واستمر إلى فترات متقدمة في الإسلام؟!

حُبَّى الحكيمة

إذا كانت كتب التراث تبخل علينا في أخبار «أم كلاب»، إلا أننا نتساءل: هل لعشق حُبَّى ابن أم كلاب علاقة ما بمكانة أمه في مجتمع الجاهلية أو بذاكرة المدينة، ثم بالدور الذي لعبته حُبَّى في مجتمع المدينة؟ خاصة أن بعض المصادر تظهر حُبَّى على أنها حكيمة من حكيمات العرب.

حدثنا أحمد، ثنا أبو بكر بن أبي الدنيا، ثنا محمد بن سعد، ثنا الواقدي عن ابن أبي سبرة قال: قيل لحُبَّى المدنيّة[109]:

ما الجُرح الذي لا يندمل؟[110]

قالت: حاجة الكريم إلى اللئيم ثم يرده[111].

قيل لها: فما الذُّل؟.

قالت: وقوف الشريف بباب الدنيِّ ثم لا يُؤذن له.

109- المجالسة وجواهر العلم، للدينوري القاضي: 378/2، والدينوري هو الوحيد الذي أورد رواية حُبَّى مسنداً الرواية إسناداً جيداً، وفي أخبار النساء لابن طيفور فصل أخبار ذوي الرأي والظرف بسند الرواية لإسحق الموصلي، لكنه لم يذكر «ما الذل؟»، رسائل الجاحظ: 72/2، عيون الأخبار لأبي قتيبة الدينوري: 139/3، التذكرة الحمدونية 199/8-322، توضيح المشتبه، ص398. وفي المستطرف من كل فن مستظرف: 65/2، «قيل لأعرابي: ما السقم الذي لا يبرأ والجرح الذي لا يندمل؟ قال: حاجة الكريم إلى اللئيم» طبعة دار الطباعة السنية 1285 هـ. وردت بالصيغة ذاتها في ربيع الأبرار للزمخشري: 186/3.

110- وفي رواية ترد: «ما السقم الذي لا يبرأ، ما الجُرح الذي لا يندمل؟».

111- وفي رواية: «لا يُجدي عليه» بدل «ثم يرده».

قيل لها: فما الشَّرف؟

قالت: اعتقاد المِنن في أعناق الرجال، تبقى للأعقاب في الأعقاب[112].

ولا يخفى أن طقوس الخصب المقدس، ارتكزت على مماهاة بين خِصب المرأة، وخِصب الأرض، بين خِصب الرجل، وخصب السماء. لذلك فالطقوس التي كانت تمارس في الجاهلية كانت تحفيزاً لخصب الأرض وخصب المرأة. ومن هنا يمكن أن نجد تفسيراً طقسياً لمكانة مدرسة حُبَّى في مجتمع المدينة، وإن كانت تلك الطقوس لم تستمر زمن حُبَّى، إلا أنها بكل تأكيد كانت تشكل امتداداً في تعاليمها لفنون الحب، كما سنلاحظ لاحقاً.

112- وفي رواية: «للأعقاب في الأحقاب». والصحيح ما أثبتناه، لم ترد في مجالسة الدينوري.

رسولات الحب

نتذكر من مروية الجاحظ والبلاذري في فصل «سقيفة حُبَّى» أن حُبَّى هي التي «كانت رسول الحب» بين عائشة بنت طلحة ومصعب بن الزبير وغيرهما من أشراف نساء المدينة ورجالها، لكن خلطاً مثيراً للاستغراب يبرز في مروية أخرى ينحصر فيها ذكر «عائشة بنت طلحة ومصعب بن الزبير» نقلها ابن عساكر في تاريخه، وأبو الفرج الأصفهاني في أغانيه.

يقول ابن عساكر في رواية أسندها إلى أبي مسلم عبد الله بن مسلم عن أبيه عن مشايخه: «وجه مصعب بن الزبير إلى عزَّة المدينية - مولاة نَهز - وكانت من أعقل النساء، فأتته، فقال: يا عزّة، قد اعتزمت على تزوج عائشة - يعني ابنة طلحة - وأنا أحب أن تصيري إليها متأملة لخلقها، مؤدية لخبرها...»[113] (إلى آخر المروية).

وفي الأغاني ينقل أبو الفرج الرواية عن صالح بن حسان أن عزة الميلاء هي التي زوجت مصعب من عائشة.

تشير كل خيوط البحث في المرويات السابقة إلى أن «حُبَّى المدينية الشهيرة بحواء» هي التي زوجت مصعب من عائشة ويبدو أن ابن عساكر ورواته، وأبو الفرج الأصفهاني خلطوا في «رسولة الحب»، لأن الاهتمام على ما يبدو كان منصباً على ذكر عائشة ووصف جمالها وليس مهماً ذكر

113- مختصر تاريخ دمشق: 173/20، وأمالي يموت ابن المزرع - ابن أخت الجاحظ، فصل النوادر والملح، التحميل من مكتبة الوراق. ويموت بن المزرع ابن يموت بن عيسى: هو العلامة الأخباري أبو بكر العبدي البصري الأديب، واسمه: محمد. سكن طبرية مدة. وحدث عن: خاله الجاحظ، وغيره. مات سنة أربع وثلاثمئة للهجرة. (راجع سير أعلام النبلاء، الذهبي: 247/14).

الواصفة. لكن هذا الأمر مختلف في بحثنا. لأننا في كتابنا هذا نبحث عن لُغز حواء المدينة حُبَّى. هذه المرأة التي ألصق فيها الرواة العرب تناقضات عجيبة وألبسوها ثوب المرأة الحكيمة حيناً وثوب العاهرة المبتذلة حيناً آخر. لكن نظرة موضوعية إلى هذه المرأة ستزيل اللبس عن شخصها، لنعرف أنها كانت صاحبة مدرسة جنسية عكست انفتاحاً اجتماعياً وعقلياً مثيراً للدهشة في ثقافة جزيرة العرب. وكانت بكل جدارة «رسولة الحب» تقرّب بين العشاق. وتلهب مشاعر الحب بين الأحباب بتعليمهم فنون الحب.

تناقض روايتَيْ ابن عساكر والأصفهاني يمكن أن نزيله ببساطة. إذا ما علمنا أن عزّة هذه اشتهرت في كتب التراث بالتمايل في مشيتها لا بانتسابها للمدينة، في حين أن حُبَّى اشتهرت بـ «المدنية».

والأصفهاني بنفسه وابن خرداذبة في كتابه «اللهو والملاهي» يقولان إن: «عزة الميلاء اشتهرت بهذا الاسم لتمايلها في مشيتها». فكان التمايل والتغنج في المشية علامة فارقة لهذه المرأة بين الرواة.

الخلط بين عزّة الميلاء وحُبَّى مفيد للباحث. لأنه يشكل مبرراً قوياً للاستنتاج بأن دور «رسولة الحب» لم يقتصر على حُبَّى في ذلك العصر. وإن كانت هي الأبرز في هذا المجال. فعزَّة الميلاء كان لها على ما يبدو الدور ذاته. ولا ننسى أيضاً ما قاله ابن طيفور نقلاً عن صالح بن حسان من أن معلمة حُبَّى كانت سعدى بنت الحارث. فمهمة هؤلاء النسوة لم تأت من فراغ وإنما من تراث عديد تواصل على مدى السنين.

عزة الميلاء

كانت عزة مولاة للأنصار ومسكنها المدينة، وهي أقدم من غنى الغناء الموقّع من النساء بالحجاز[114]، وكانت من أجمل النساء وجهاً، وأحسنهن جسماً،

114- قال الأصفهاني: كانت تغني أغاني القيان من القدائم مثل سيرين أخت مارية القبطية سرية رسول الله والدة ابنه إبراهيم، وهي أمة أعطاها الرسول للشاعر حسان بن =

وسميت الميلاء لتمايلها في مشيها، قال إسحق: وقال الزبير: إنه وجد مشايخ أهل المدينة إذا ذكروا عزّة قالوا: لله درّها! ما كان أحسن غناءها، ومد صوتها، وأندى حلقها، وأحسن ضربها بالمزاهر والمعازف وسائر الملاهي، وأجمل وجهها، وأظرف لسانها، وأقرب مجلسها، وأكرم خلقها، وأسخى نفسها، وأحسن مساعدتها[115]...

وقال طويس: إن عزة كانت مع جمال بارع وخلق فاضل وإسلام لا يشوبه دنس، تأمر بالخير وهي من أهله، وتنهى عن السوء وهي مجانبة له، فناهيك ما كان أنبلها وأنبل مجلسها[116]...

قال إسحق، وذكر لي عن صالح بن حسان الأنصاري، قال: كانت عزّة مولاة لنا، وكانت عفيفة جميلة، وكان عبد الله بن جعفر وابن أبي عتيق[117]، وعمر

ثابت فكانت أم ابنه عبد الرحمن. (الأغاني: 12/16 ـ 14/4).

وعن ابن عباس قال: مرّ النبي صلى الله عليه وسلم على حسان بن ثابت، وهو في ظل فارع، وحوله أصحابه وجاريته سيرين تغني بمزهرها:

هل علي ويحكما   إن لهوت من حرج

فضحك النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: لا حرج إن شاء الله. (الأغاني: 161/10).

يضيف الأصفهاني: كما غنت عزّة لزرنب وخولة والرباب وسلمى ورائقة، وكانت رائقة أستاذتها، فلما قدم نشيط وسائب خاثر المدينة غنيا أغاني بالفارسية، فلقنت عزة عنهما نغماً وألّفت عليها ألحاناً عجيبة... وقيل أيضاً: إنها أخذت الغناء عن سيرين أخت مارية القبطية. (راجع الأغاني: 12/16، والجواري والقيان، ص15).

وكان ابن سريج، أول من ضرب بالعود في الغناء العربي بمكة، في حداثة سنه يأتي المدينة ويسمع من عزة ويتعلم غناءها ويأخذ عنها... وابن سريج في رواية الأصفهاني أمه رائقة، وهي التي قيل إنها إستاذة عزة، وقيل: بل أمه هند أخت رائقة... وكانت رائقة مولاة لآل المطلب... ثم قيل: إنه مولى بني المطلب بن حنطب... (الأغاني: 95/1. و 12/16).

115 الأغاني: 12/16-13.

116 الأغاني: 10/51-52-53. راجع أيضاً: أعلام النساء 278/3.

117 وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق... «أنساب الأشراف للبلاذري: 421/1».

بن أبي ربيعة يغشونها في منزلها. وكان حسان بن ثابت معجباً بعزّة الميلاء وكان يقدمها على سائر قيان المدينة... وغنت مرة شعراً لحسان «فطرب حسان وجعلت عيناه تنضحان وهو مصّغ لها»[118]. وتوفيت عزّة الميلاء نحو سنة 15 للهجرة[119].

ولعظم شأن عزّة لم يورد أبو الفرج الأصفهاني ذكرها في كتابه «القيان» رغم أن دار الغناء الخاصة بها كانت شهيرة وذكرها في أغانيه، وهذا يدفعنا إلى الاستنتاج أن مكانتها كانت أعلى من مكانة القيان في المدينة، بل إن أحد كبار المغنين في الحجاز، وهو إسحق بن إبراهيم الموصلي، الذي كتب عدة كتب في أخبار «قيان الحجاز»، أفرد لها مؤلفاً خاصاً أسماه «أخبار عزّة الميلاء» ذكره ابن النديم في فهرسته. كما أن سليمان بن أيوب المديني ألّف كتاباً عنها حمل الاسم ذاته[120].

ليس هذا فحسب وإنما يبرز الأصفهاني في أغانيه المكانة المرموقة التي شغلتها عزّة في مجتمع المدينة، فهو ينقل عن الحسين بن يحيى، قال: قال أبي حدثت عن صالح بن حسان. قال: كان بالمدينة امرأة حسناء تسمى عزّة الميلاء. يألفها الأشراف وغيرهم من أهل المروءات، وكانت من أظرف الناس وأعلمهم بأمور النساء[121].

إذاً، كانت عزّة مغنية أتقنت صنعتها، وكانت من أجمل النساء، جمعت إلى جانب دلالها ومشيتها اللافتة، العفاف وسخاء النفس وكرم الأخلاق. وإلى جانب كونها معلمة لأشهر مغني المدينة، فإنها كانت من أعلم الناس بأمور النساء.

118- الأغاني: 13/16.

119- راجع هامش محقق كتاب القيان، ص66.

120- الفهرست. ص158-165. تحقيق: رضا تجدد. طهران 1971.

121- راجع أخبارها في الأغاني: 10/51-52-53. وأيضاً: أعلام النساء 278/3.

رسولات الحب

نلاحظ أن الخطوط العريضة التي رسمها الرواة لشخصية عزّة جاءت قريبة من رسم شخصية حُبَّى. وتتبع سيرة هاتين المرأتين تجعلنا نقول: إن مسألة تنظيم العلاقات بين الرجل والمرأة، وتعليمهما فنون الجماع، كانت في يد نساء خبيرات ملمّات بكل تفاصيل العلاقة بين الجنسين، هؤلاء النسوة «المعلمات للجنس» اضطلعنّ بوظيفة إنسانية كنَّ يؤدينها في مجتمعَي المدينة ومكة، لدرجة أن الأشراف وعلية القوم وحتى الناس العاديين فتياناً وفتيات، نساءً ورجالاً، كانوا يلجؤون إليهن ليتعلموا منهن فنون الحب من جانب، ومن جانب آخر فقد كنَّ «رسولات» لهم/لهن في شؤون الزواج والحب والعشق، ولم ينقص «رسولات الحب» هؤلاء الفراسة والملكة اللغوية ودقة الملاحظة والخبرة، في أداء مهمتهن.

وكما ذكرنا عن مكانة عزّة، نجد الأمر ذاته عن مكانة حُبَّى المدينة، فهي كما قال ابن حجر العسقلاني كانت «مغنية مشهورة»[122] رغم أن شهرة حُبَّى في عالم الغناء لم نجدها إلا لديه، وقال الجاحظ إنه: «لم يكن بالمدينة شريف ممن يجلس في سقيفتها إلا واصل إليها في السنة ثلاثين وسقاً وأكثر من طعام وتمر، مع الدنانير والدراهم، والخدم والكساء»، وقوله أيضاً أن حُبَّى العالمة بأمور النساء كانت «تعلّم نساء المدينة» أوضاع الجماع، و «كانت لها سقيفة تتحدث إليها رجالات قريش».

مناقشة الدَّور الذي كانت تضطلع به حُبّى وسقيفتها، التي كانت أشبه بـ «مدرسة» يجلس في فنائها مريدوها على اختلاف أعمارهم، يعطي قيمة إضافية لدُور النساء في الجاهلية، فإضافة إلى الدور الذي كانت تلعبه «دور الغناء» و «دور البغايا» و «دور الكاهنات» و «حكيمات العرب» فإن دور «سقيفة العارفات بأمور الباه»، التي كانت ««سقيفة حُبَّى» من أشهرها عند العرب، لا ينفصل عن الدور الهام الذي اضطلعت به نساء العرب.

122- تعجيل المنفعة: 1/854-855.

كان هناك قواعد عمل واضحة تمارسها هؤلاء النسوة الخبيرات من خلالها عملهن، منها مثلاً أن حُبَّى طلبت من عائشة «أن تخلع ملابسها» وتسير أمامها، وكذلك فعلت مع باقي النسوة. وبالأساس لجأ إليها رجالات قريش «لأنها عالمة بأمور النساء»، ثم قامت حُبَّى بوصف النساء لعشاقهن، وجعلت تقوم بمقاربة بين الرجل وعروسه حتى إنها تخيّلت عروس ابن الصديق فوقه وهي تراقبها عارية. ولاحظت أن صدر عروسه الضيق وعظم صدره لا يتناسبان ولا يَحسن في مثل هذه الحالة إلا من يملأ المنكبين أو بعبارة الأغاني «حتى يملأ كل شيء مثله». كما أنها وبعد أن قدمت «تقريرها» لابن أحيحة أخبرته عمّن يمكن أن تختارها له. وتكون مؤنسة له بملاحتها أكثر من زينب بن عمرو.

اللافت أيضاً في المروية أن عائشة بنت طلحة وغيرها من العرانس. خلعن ملابسهن وتنقلن أمام «رسولة الحب» دون أي حرج. وحتى عائشة رغم عظم مكانتها. لم تشعر بحرج. ولأن الشيء بالشيء يذكر. فإننا نتذكر أنه حتى وقت قريب كانت الأمهات تأخذن بناتهن إلى «حمام السوق» حيث يكون الجو مناسباً. في إطار تواطؤ نسائي اجتماعي. لتستطلع النسوة الموجودات البنات المقبلات على الزواج ويتم استكشاف أسرار جمال أجسادهن.

تقدم لنا حُبَّى إضاءة جديدة لأدوار جديدة أمكن للمرأة أن تلعبها في تاريخ العرب. وأيضاً عائشة بنت طلحة تقدم لنا إضاءة جديدة عن مكانة المرأة في مجتمع المدينة، لا سيما أن هذه المرأة ارتبطت بقصتنا المحورية التي اعتمدنا عليها في تفكيك شخصية حُبَّى المدنية، فمن هي عائشة بنت طلحة؟

عائشة بنت طلحة
ما كنت لأستر جمالاً وسَمَني به الله

يفتح لنا تتبع سيرة جميلة جميلات العرب «عائشة بنت طلحة» أفقاً جديدة في بحثنا. فسيرة هذه المرأة تدل على الانفتاح الذي كان سائداً في مجتمعَي

مكة والمدينة في صدر الإسلام، والحرية الجنسية[123] التي كانت تسودهما. فهذه المرأة وقفت في مواجهة زوجها مصعب بن الزبير لتعلن رفضها ستر وجهها أمام الناس. ولها في ذلك موقف ورأي، وعائشة كانت من حرائر العرب ومن سيدات مجتمعها، وصاحبة جاه ومال كثير.

وهي عائشة بنت الصحابي طلحة بن عبيد الله رضي الله تعالى عنه، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة. وأمها أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق، وخالتها عائشة ـ أم المؤمنين، رضي الله عنها...

يقول صاحب الأغاني: «كانت عائشة بنت طلحة فريدة بين نساء عصرها، وكانت لا تستر وجهها من أحد، فعاتبها مصعب في ذلك، فقالت: إن الله تبارك وتعالى وسمني بميسم جمال أحببت أن يراه الناس ويعرفوا فضلي عليهم. فما كنت لأستره. ووالله ما فيَّ وصمة يقدر أن يذكرني بها أحد. وطالت مراودة مصعب إياها في ذلك، وكانت شرسة الخلق... وكذلك نساء بني تيم هنّ أشرس خلق الله وأحظاهن عند أزواجهن»[124].

---

123 ولا نقصد هنا الحرية الجنسية بمعنى التحلل الأخلاقي، وإنما الانفتاح على الآخر.

124 الأغاني: 51/10. وراجع أيضاً أخبارها في الأغاني: 97/3 وما يليها، ورد الخبر في أخبار الحرث بن خالد المخزومي الذي كان ممن هَامَ في عشق عائشة لدرجة أنه أخّر إقامة الصلاة في مكة حتى تكمل عائشة طوافها، فعزله عبد الملك بن مروان عن إمارة مكة وأنبّه. فقال الحرث: «ما أهون والله غضبه إذا رضيت. والله لو لم تفرغ من طوافها إلى الليل لأخّرت الصلاة إلى الليل». (الأغاني: 100/3).

وفي رواية أخرى في الأغاني: 110/3: أن عبد الملك بن مروان كتب للحرث: ويلك أتركت الصلاة لعائشة بنت طلحة؟ فقال الحرث: والله لم تقض طوافها إلى الفجر لما كَبَرْت. وكان الحرث يكني عن ذكر عائشة في أشعاره بأمتها بشر (الأغاني: 128/15).

يضيف البلاذري في أنسابه: كان الحارث بن خالد يحب عائشة وكانت تحبّه فخطبها الحارث قبل تزوج مصعب إياها فلم تجبه، فقيل لها: أحبك رجل وأحببته حيناً، ثم خطبك فلم تتزوجيه؟ فقالت: كان فيَّ عيب ما يسرني أن لي طلاع الأرض ذهباً، وأنه اطلع عليه، فقيل: هو سوء الخلق، وقيل عِظم الأذنين والقدمين. (أنساب الأشراف: 140/10).

نقل ابن عساكر عن إسحق قال: دخلت على عائشة بنت طلحة، وكانت لا تحتجب من الرجال، تجلس وتأذن كما يأذن الرجل، فلقد رأيتني دخلت عليها وهي مُتكئة، ولو أن بعيراً أنيخ وراءها ما رُئي[125].

وكانت عائشة تشبّه بعائشة أم المؤمنين خالتها، فزوّجتها خالتها عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر، وهو ابن أخيها، وابن خال عائشة بنت طلحة، وهو أبو عُذرتها...[126] ولم تلد إلا منه[127].

عائشة التي تغزّل بها الفقهاء

صارمت عائشة بنت طلحة، يوماً، زوجها عبد الله وخرجت من دارها غضبى، فمرت في المسجد وعليها ملحفة تريد عائشة أم المؤمنين، فرآها أبو هريرة، فقال: سبحان الله، كأنها من الحور العين[128]. وفي رواية أن عائشة نازعت زوجها إلى أبي هريرة، فوقع خمارها عن وجهها، فقال أبو هريرة: سبحان الله! ما أحسن ما غذاك أهلك، لكأنما خرجت من الجنة[129].

وفي رواية البلاذري: قال أبو هريرة عندما رآها: سبحان الله، سبحان الله ما أحسن ما غذاك أهلك، ما رأيت أحسن وجهاً منك[130].

125- مختصر تاريخ دمشق: 172/10.

126- أنساب الأشراف: 137/10 وما يليها، نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري: 91/19، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: 173/20، وفن النكاح في تراث شيخ الإسلام جلال الدين السيوطي، جورج كدر، دار أطلس 2011.

127- أنساب الأشراف: 141/10، نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري: 91/19: ولدت له عمران، وعبد الرحمن، وأبا بكر، وطلحة، ونفيسة، وكان ابنها طلحة أجود أجواد قريش، وطلحة هذا، بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه. يقول النويري صاحب نهاية الأرب في فنون الأدب: وطلحة هذا هو جدي الذي أُنسب إليه. والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب، إليه المآب.

128- راجع أيضاً الأغاني: 133/2.

129- الأغاني: 57/10.

130- أنساب الأشراف: 137/10-138.

وذكر ابن عساكر في تاريخ دمشق أن أنس بن مالك قال لعائشة[131]، وهو قول ينسبه أبو الفرج لأبي هريرة[132]: «ما رأيت شيئاً أحسن منك إلا معاوية أول يوم خطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: والله لأنا أحسن من النار في عين المقرور في الليلة القارّة».

وينقل ابن عساكر في تاريخه أيضاً عن أنس بن مالك قال: دخلت على عائشة بنت طلحة في حاجة، فقلت: إن القوم يريدون أن يدخلوا إليك فينظروا إلى حسنك، قالت: أفلا قلت لي فألبس ثيابي! وكانت من أحسن الناس في زمانها[133].

وبعد أن طلقها عبد الله تزوجها مصعب بن الزبير فأمهرها 500 ألف درهم، وأهدى لها مثل ذلك، وبلغ ذلك أخاه، فقال: إن مصعباً قدم أيره وأخر خيره، فبلغ ذلك من قوله عبد الملك بن مروان، فقال: لكنه أخّر أيره وخيره[134].

وكان مصعب بن الزبير من أشد الناس إعجاباً بعائشة بنت طلحة ولم يكن لها شبه في زمانها حسناً ودماثة وجمالاً وهيئة ومتانة وعفة[135]. وما شبهت وجهها إلا القمر طالعاً[136].

قال الأصفهاني: قال الزبير وحدثني عمي عن ابن الماجشون، قال: قالت سكينة بنت الحسين ـ عليه السلام ـ لعائشة بنت طلحة: أنا أجمل منك، فقالت عائشة: بل أنا. فاختصمتا إلى عمر بن أبي ربيعة. فقال: لأقضين بينكما، أما أنت يا سكينة فأملح منها، وأما أنت يا عائشة فأجمل منها،

131- مختصر تاريخ دمشق: 171/20.

132- الأغاني: 59/10.

133- مختصر تاريخ دمشق: 171/20.

134- الأغاني: 52/10.

135- الأغاني: 53/10.

136- أنساب الأشراف: 138/10.

فقالت سكينة: قضيت لي والله. وكانت سكينة تسمي عائشة ذات الأذنين، وكانت عظيمة الأذنين[137].

أكل أكل سبعة وناك نيك سبعة

لكن أحبَّ الأزواج إليها كان آخرهم عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي من قريش، وهو الذي ناحت عند وفاته وهي قائمة، لأنه عند العرب إذا ناحت المرأة على زوجها قائمة علموا أنها لا تتزوج بعده[138]. وكان زواجها به بعد مقتل مصعب سنة 70 أو 72 للهجرة. فقد تقدم لخطبتها بشر بن مروان، فبلغ عمر بن عبيد الله ذلك. وكان قادماً من الشام فنزل الكوفة. فأرسل إليها جارية، وقال: قولي لابنة عمي: يقرئك ابن عمك السلام. ويقول لك: أنا خير من هذا المبسور المطحول، وأنا ابن عمك وأحق بك. وإن تزوجت بك ملأت بيتك خيراً وحرك أيراً. فتزوجته فبنى بها بالحيرة[139]. ومهدت له سبعة أفرشة عرضها أربعة أذرع فأصبح ليلة بنى بها عن تسع[140]، قال: فلقيته مولاة لها، فقالت: أبا حفص، فديتك! قد كملت في كل شيء حتى في هذا![141]

وفي رواية أخرى: فأدخلته مولاة عائشة وأسبلت الستر عليهما، فعددت له في بقية الليل على قلتها سبع عشرة مرة دخل المتوضأ فيها، فلما أصبحنا وقفت على رأسه، فقال: أتقولين شيئاً؟ قلت: نعم، والله ما رأيت مثلك أكلت أكل سبعة، وصليت صلاة سبعة ونكت نيك سبعة. فضحك، وضرب بيده على منكب عائشة. فضحكت وغطت وجهها[142].

137- الأغاني: 166/17. وكانت عائشة وسكينة زوجتا مصعب بن الزبير.

138- مختصر تاريخ دمشق: 172/20.

139- الأغاني: 53/10.

140- وفي رواية أخرى عن سبع مرات، الأغاني: 134/2.

141- الأغاني: 53/10.

142- وقال مصعب الزبيري في خبر رأى فيه أبو الفرج الأصفهاني تحاملاً وعصبية من =

يقول ابن عساكر: حدثت عائشة بنت طلحة أنها كانت عند عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، فدخل عليها زوجها هناك وهو صائم، فقالت له عائشة: ما يمنعك أن تدنو من أهلك فتقبّلها وتلاعبها؟ فقال: أقبّلها وأنا صائم؟ فقالت: نعم[143].

عجائب الرهز وفنون الشخير

وقال المدائني في خبره: قالت امرأة: كنت عند عائشة بنت طلحة فقيل لها: قد جاء الأمير. فتنحيت، ودخل عمر بن عبيد الله، وكنت بحيث أسمع كلامهما فوقع عليها، فجاءت بالعجائب، ثم خرج، فقلت لها: أنت في نفسك وموضعك وشرفك تفعلين هذا؟! فقالت: إنّا نتشهى لهذه الفحول بكل ما حركها وكل ما قدرنا عليه[144].

وفي رواية أخرى يذكرها الإمام جلال الدين السيوطي نقلاً عن الأصفهاني عن المدائني عن فلانة: كنت عند عائشة بنت طلحة، فقيل: قد جاء عمر بن عبد الله. يعني زوجها، قالت: فتنحيت، ودخل فلاعبها مرة، ثم وقع عليها، فشخرت ونخرت وأتت بالعجائب من الرهز، وأنا أسمع، فلما خرج قلت لها: أنت في نسبك وشرفك وموضعك تفعلين هذا؟ قالت: إنا نستهب لهذه الفحول بكل ما نقدر عليه وبكل ما يحرّكها، فما الذي أنكرت من ذلك؟ قلت: أحب أن يكون ذلك ليلاً... قالت: ما ذاك كهذا وأعظم، ولكنه حين يراني تتحرك شهوته وتهيج فيمد يده إلي، فيكون ما ترين.

وقال ابن حمدون: كانت عائشة موصوفة بعظم العجيزة، فإذا نهضت لا تستقل، وكانت تقول: إني بكما لمُعنّاة.

وقال هارون بن الزيات: حدثني قبيصة عن ابن عائشة عن أمه عن سلامة

= مصعب على عمر بن عبيد الله: «لما بنى بها عمر قال لها: لأقتلنك الليلة، فلم يصنع إلا واحدة. فقالت له لما أصبح: قم يا قتّال!». (الأغاني: 10/55).

143- مختصر تاريخ دمشق: 20/171-172.

144- الأغاني: 10/55.

مولاة جدته أثيلة بنت المغيرة بن عبد الله بن معمر قالت: زرت مع مولاتي خالتها عائشة بنت طلحة، وأنا يومئذ وصيفة فرأيت عجيزتها، من خلفها وهي جالسة كأنها غيرها، فوضعت إصبعي عليها لأعلم ما هي. فلما وجدت مس إصبعي، قالت: ما هذا؟ قلت: جعلت فداءك لم أدر ماهو فخلت أنها امرأة جالسة معك، فجئت لأنظر! فضحكت وقالت: ما أكثر من يعجب مما عجبت منه[145].

عائشة التي أفاضت علماً

وإن كنا ذكرنا أحاديث العشق وبراعة عائشة بنت طلحة في شؤون الفراش، فهذا لا يعني أنها لم تبرع في شؤون أخرى، ولنا في خبر أورده الأصفهاني ما يدل على ذلك:

وفدت عائشة بنت طلحة على هشام بن عبد الملك. فقال لها: ما أوفدك؟ قالت: حبست السماء المطر ومنع السلطان الحق. قال: فإني أبلّ رحمك وأعرف حقك.

ثم بعث إلى مشايخ بني أمية فقال: إن عائشة عندي فاسمروا عندي الليلة، فحضروا فما تذاكروا شيئاً من أخبار العرب وأشعارها وأيامها إلا أفاضت معهم فيه، وما طلع نجم ولا غار إلا سمته، فقال لها هشام:
أما الأول فلا أنكره، وأما النجوم، فمن أين لك؟ قالت: أخذتها عن خالتي عائشة، فأمر لها بمئة ألف درهم وردها إلى المدينة[146].

145- راجع عملنا «فن النكاح في تراث شيخ الإسلام جلال الدين السيوطي، الكتاب الثاني: أخبار عائشة بنت طلحة»، وفي الأغاني: 57/10.

146- الأغاني: 57/10.

من أخبار حُبَّى

حُبَّى يوم مقتل الشاعر العذري هدبة بن الخشرم

يقول ابن عساكر في تاريخ دمشق: لما خُرج بهُدْبَة ليقاد منه بالحرّة جعل ينشد الأشعار، فقالت له حُبَّى المدينة: ما رأيت أقسى قلباً منك، أتنشد الشعر وأنت يمضى بك لتقتل، وهذه خلفك كأنها ظبي عطشان تولول - تعني: امرأته - فوقف، ووقف الناس معه.

وفي رواية قال حماد[148]: قرأت على أبي عن مصعب بن عبد الله الزبيري، قال: ومرَّ هُدْبَة بحُبَّى، فقالت له: كنت أعُدّك في الفتيان، وقد زهدت فيك اليوم، لأني لا أنكر أن يصبر الرجال على الموت، لكن كيف تصبر عن هذه (تقصد زوجته وكانت من أجمل النساء)؟ فقال: أما والله إن حُبّي لها لشديد. وإن شئت لأصفنَّ لك ذلك، فوقف الناس معه وأقبل على حُبَّى فقال[149]:

---

147 هو هُدْبَة بن الخشرم بن كرز ابن أبي حية بن الكاهن، وهو سلمة بن الأسحم، شاعر فصيح متقدم من شعراء بادية الحجاز. وهو الذي قتل زيادة بن زيد، وزيادة بن زيد أحد بني الحارث بن سعد إخوة عذرة. قال ابن دريد: وهو أول من أقيد بالحجاز، (راجع: مختصر تاريخ دمشق: 27/71-72، الكامل للمبرِّد، ص1454، الأغاني: 21/175، ديوان هدبة بن الخشرم، ص19. وفي تزيين الأسواق لداود الأنطاكي، الصنف الثالث في ذكر من أشبه العشاق في محبته وشاكلهم في مودته فتعاهدا لشدة كلفه بالمحبوب على عدم الفراق فنكث أحدهما عهد الآخر بعد التلاق.

148- الأغاني، نسخة بولاق: 21/176، ديوان هدبة، ص19-20.

149- وردت الأبيات أيضاً في الحيوان، الجاحظ: 2/200-201، وفي الشطر الثاني من البيت الثاني: «كما انبعثت من قوة وشباب»، قال الجاحظ: وكان زوجُ حُبَّى المدَنيَّة يقال له ابن أمّ كِلاب.

فما وجدت وجدي بها أمٌّ واحد ولا وجدَ حُبَّى بابن أم كلاب
رأته طويل الساعدين شمردلاً كما انتعتت من قُوة وشَبابِ

فأغلقت حُبَّى في وجهه الباب وسبّته.

وفي إحدى روايات الأغاني: قال حماد في روايته: قرأت على أبي حدثني ابن كناسة: مُرَّ بهُدْبَة على حُبَّى. فقالت: في سبيل الله شبابك وجلدك وشعرك وكرمك.

وفي التذكرة الحمدونية: قالت له حُبَّى في تلك الحال: لقد كنت أعدك من الفتيان وقد زهدت فيك اليوم لأني لا أنكر صبر الرجال على الموت، ولكن كيف تصبر عن هذه؟ فقال: والله إن حُبَّي لها لشديد، وإن شئت لأصفنَّ ذلك، ووقف ووقف الناس معه[150].

وفي رواية العلامة الطبيب داوود الأنطاكي في «تزيين الأسواق وأخبار العشاق»، حين أخرج للقتل مرَّ على زوجة مالك بن عوف[151]، فقالت: في سبيل الله شبابك وصبرك وشعرك فأنشد ارتجالاً[152]:

150- التذكرة الحمدونية: 410/2.

151- ونقل محقق ديوان هدبة ذلك في هامش ص147، ويكرر داود الأنطاكي أن حُبَّى كانت زوجة مالك، فهو يقول: نظر إلى زوجة مالك وقد قالت له: كيف تصبر عن هذه؟ فأنشد: وجدت بها ما لم تجد أم واحد... والسؤال هنا يفرض علينا التدقيق فيما إذا كانت حُبَّى زوجة مالك بن عوف، أم عبيد ابن أم كلاب.

مالك بن عوف من بني نصر، سيد قومه هوازن، جمع ثقيف وهوازن (باستثناء كعب وكلاب) بوادي حنين قرب وادي ذي المجاز لقتل رسول الله محمد، فهزمهم النبي وساق نسائهم وصبيانهم وماشيتهم غنيمة وقسم أموالهم فيمن كان أسلم من قريش. وعندما أسلمت ثقيف، سأل عنه رسول الله وفد هوازن، وقال لهم بأن يخبروا مالك: «إن أتاني مسلماً رددت إليه أهله وماله، وأعطيته مئة من الإبل». فخرج مالك من الطائف إلى الرسول، وأسلم وحسن إسلامه، ووفى الرسول له بوعده واستعمله على من أسلم من قومه. (راجع الطبري، ص441-446: أحداث السنة الثامنة للهجرة).

152- البيتان في ديوان هدبة بن الخشرم، ص147، في رواية الأغاني: «أسير مقيد».

تَعجَّبُ حُبّى من أسيرٍ مُكَبَّلٍ صَليبِ العَصَا باقٍ على الرَّسَفَانِ
فلا تَعْجَبي منِّي حليلة مالك كذلك يأتي الدَّهْرُ بالحَدَثانِ

فانقمعت داخلة إلى بيتها فأغلقت الباب دونه. قالوا: فدفع إلى أخي زيادة ليقتله. وبعث خشرم إلى عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم يقول لها: استغفري لي. فقالت: إن قُتلت استغفرت لك.

حُبَّى والخليفة عبد الملك بن مروان

جمع الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان بحُبَّى أكثر من لقاء، هذه اللقاءات تقدم لنا تفاصيل دقيقة عن حُبَّى. ونفهم من رواية الطبري في تاريخه أن عبد الملك ومصعب ابن الزبير كانا يلتقيان عند حُبَّى ويتحادثان إليها، وأن عبد الملك بن مروان كان يأتي على الدوام قبل خلافته إليها ويأكل عندها أكلة الأقط. وهذه الأكلة شهيرة في التراث العربي لدرجة أن كلمة «أقط» تحل محل الطعام. قال اللحياني:كنت عند بني فلان فخبزوا وحاسُوا وأقَطُوا أي أطعموني. ويبدو أن حُبَّى اشتهرت ليذكرها بأنها لم تكن لذيذة كما عهدها سابقاً، كما سيأتي.

يقول الطبري في روايته عن مقتل مصعب بن الزبير[153]: إنه لما قدم قاتله عبيد الله بن زياد بن ظبيان، حاملاً رأسه لعبد الملك بن مروان، نظر إليه، وقال: متى تغدو قريش مثلك؟!

يقول الطبري في روايته أيضاً، أن عبد الملك ومصعب كانا يتحدثان إلى حُبَّى وهما بالمدينة، فقيل لها: قُتل مصعب. فقالت: تعس قاتله! فقيل: قتله عبد الملك بن مروان. فقالت: وبأبي القاتل والمقتول! قال: وحج عبد الملك بعد ذلك، فدخلت عليه حُبَّى، فقالت: أقتلت أخاك مصعباً؟ فقال:

من يذق الحرب يجد طعمها مــراً وتـتـركــه بـجـعـجـاع

153- تاريخ الرسل والملوك، ص1132، والكامل في التاريخ لابن الأثير: 392/4.

يشير البلاذري في أنسابه أيضاً إلى لقاء آخر بين حُبَّى وعبد الملك بن مروان في المدينة حيث تركت فتيان قريش الذين كانوا يتحدثون في منزلها وأشرفت عليه، قال البلاذري: حدثني عمر بن بكير عن هشام ابن الكلبي عن ابن مسكين المديني عن أبيه قال: حج عبد الملك فمر بمنزل حُبَّى المدينية بالمدينة، وكان فتيان قريش يجلسون إليها فيتحدثون عندها، فأشرفت عليه ونظر إليها وهي تدعو له، فوقف وقال: يا حُبَّى، أنا عبد الملك، فقالت: قد علمت فبأبي أنت وأمي، الحمد لله الذي أراني وجهك قبل موتي. كيف أنت يا سيدي؟ قال: بخير يا حُبَّى كيف ماؤك المبرد، ومن كان يغشاك من فتيان قريش؟ قالت: بخير يا أمير المؤمنين، أقتلت أخاك عمرو بن سعيد؟ قال: نعم والله ويعز علي، ولكنه أراد قتلي، قالت: فلا أحاله، فأمر لها بخمسمئة دينار وأهدت له أشياء فقبلها[154].

وفي التذكرة الحمدونية: قالت له حُبَّى المدنيّة: أقتلت عمراً؟ فقال: قتلتُهُ وهو أعزُّ عليَّ من دم ناظري، ولكن لا يجتمع فحلان في شَوْلٍ[155].

وفي التذكرة الحمدونية نفهم من أن الخليفة عبد الملك بن مروان جلس وتناول طعامه في دارها، يقول ابن حمدون: قال عبد الملك حين حج لحُبَّى المدينية: ما فعلت خَزِيرتُكِ؟

فقالت: البُرمَةُ (القدر) عندي، وعندي أقط[156] وسمنٌ.

فعملتها له. فأكل منها، وقال: يا حُبَّى، ليست كما كنت أعهد!

فقالت: ألهاكَ عنها زِمكّى الدجاج، قال: صدقت، وأمر لها بمال[157].

154- أنساب الأشراف، البلاذري: 218/7.

155- التذكرة الحمدونية: 433/1.

156- قال ابن الأثير: قد تكرر ذكر الأقط في الحديث وهو لبن مُجَفَّف يابس مُسْتَحْجِر يُطبخ... (راجع لسان العرب: شرح أقط).

والأقط هو نفسه الكثا: وهو كرات من اللبنة تُملّح وتجفف في الشمس، وهو المعروف اليوم عند كثيرين باسم المليحي، المليحية.

157- التذكرة الحمدونية: 142/3.

تعالیم حُبّی

في الجماع

علمت حُبَّى نساء المدينة النَّقْعُ وهو النخر، والحركة والغربلة والرَّهز[158].

النَّقْعُ: رَفْعُ الصَّوْتِ، وصوْتُ النَّعامَةِ، والنقع: النخر وهو صوت الأنف، وامرأةٌ منْخار: تَنْخِرُ عند الجماع، كأنها مجنونة، ومن الرجال من يَنْخِرُ عند الجماع حتى يُسمع نَخيره، وتسمي العرب الأصوات عند الرهز والجماع: الفطافط. (كما في العباب الزاخر، شرح فطط).

والغربلة: هي الرهز بلغة أهل المدينة، كما يقول الجاحظ. وغربل الشيء: نَخَله (لسان العرب)، ويبدو أن الغربلة هي نوع من أنواع الرهز تشبه حركة الطحان وهو ينخل الحنطة.

والرهز، في لغة العرب: هي الحركة، وهي الحركة عند الإيلاج من الرجل والمرأة. (لسان العرب).

نصائح حُبَّى لابنتها وزوجها[159]

حكي أن حُبَّى قالت لابنتها قبل أن تهديها إلى زوجها: إني أوصيك بوصية إن قبلتها سعدت ونعمت بذلك: انظري إن هو مدَّ يده إليك فانخري، وارهزي، وأظهري له استرخاءً وفتوراً، فإن قبض على شيء من بدنك، أو جارحة من جوارحك، فارفعي صوتك بالنخير مدًّا، وتنفسي الصعداء، وبرّقي

158- المحاسن والأضداد، ص177، راجع شرح الكلمات في لسان العرب والقاموس المحيط والعباب الزاخر.

159- جوامع اللذة، من ص35 حتى 39، ونقلها عنه العلامة الطبيب داود الأنطاكي في النوادر من صفحة 72 إلى 76.

حماليق[160] أجفانك، فإن أولج عليك، فأكثري اللفظ، وغرّبي، وأظهري غنجاً وحركة، وعاطيه من تحته رهزاً موافقاً لرهزه، ثم خذي يده اليسرى فأدخلي حرفها بين إليتك. وضعي رأس إصبعه على باب استك ثم تحفزي وتحركي، ثم أعيدي النخير والشهيق، فإذا أحسست بإفضائه، فاضبطيه وعاطيه الرهز من أسفل بنخير وزفير حتى إذا هو خرَّج أيره في خلال رهزك، فخذيه بيدك اليسرى، ثم أولجيه، وأظهري من الكلام الفاحش المُهيج للباءة، ما يدعو لك قوة الإنعاظ.

فإذا دخل عليك يوماً وهو مغموم، فتلقيه في غلالة طيبة، لا يغيب عنه بها جارحة من جسدك، ثم اعتنقيه والزميه، وقبّليه، وأكثري النخير، فإن هش إليك، فأدخلي يدك من كمّه، واقبضي على ذَكَره، واعصريه والويه، وخذي يده، فأدخليها من كمّك، وضعيها على صدرك وبطنك، ثم جريها بين إليتيك، فإن أنعظ، وإلا بادري الفراش، واستلقي على ظهرك، واكشفي بطنك وظهرك، وأبرزي له عجيزتك، واضربي بيدك مرة على حِرِك ومرة على ردفك، فإنه لا يملك عند ذلك، ولا يهوى سوى مخالطتك.

واعلمي يا بنية أنك لا تستعطفيه أبداً، ولا تقيدينه بقيد هو أبلغ من الوطء في الاست، فإن هو أراد ذلك منك، فأجيبيه إليه غير ممتنعة عليه، ولا متكرّهة فإن القلب ينفر عند الممانعة، ويشمئز عند المدافعة وأريه من أنواعه، وباباته ما تتوق معه نفسه إلى الطلب إليك منه، وإن لم يرده، فاستدعيه أنت منه، واكشفي عن عجيزتك أحياناً وقولي: يا سيدي لو عملت واحداً في الاست لبعت الابن والبنت ولم تصبر عنه ولو حُبست، فإن هبَّ إلى ذلك، فانبطحي بين يديه، واكشفي إليتيك واضربي بيديك عليها، وقولي: هذا البيض المكنون والجوهر المصون، فإنه لا يملك نفسه عند ذلك إلا متجلداً، فإن تحرك وإلا فارفعي قليلاً قليلاً، حتى تساوين وجهه، وانفركي أشد ما

160- جماليق في نسخة جوامع اللذة، وفي النوادر: حماليق: مفردها حملاق: باطن الجفن الذي إذا قلب للكحل رأيت حمرته.

تقدرين عليه، فأقسم بالله أنه لو كان في نُسُك رابعة ومعاذة[161]، لهمَّ ودبَّ، وصرَّ، واستلذَّ.

واعلمي يا بنية أنه ليس شيء من باب الوطء في الاست تامة أجلب للقلب، ولا أسلب للب، غير النصب على أربعة، فأذيقيه إياه مرّة، فإنه لا يزال لك وامقاً، ولأخوتك عاشقاً.

وعليك يا بنية بالماء، فتنظفي به، وبالغي في الاستنظاف، وتعهدي مواضع أنفه وعينيه، فلا يشمَّنَ منك إلا طيباً، ولا ترى عيناه إلا مرتقاً، فإذا أولج عليك، فأكثري من اللفظ الفاحش، وقولي بين أضعاف لفظك: يا دائي، يا حياتي، يا دوائي يا شفاي، يا سروري، يا حبيبي، يا طبيبي، يا شهوتي، يا فرحتي، يا غاية رجائي، ركّبه، غيّبه، أولجه، شَرّجه، أخرجه، اعفجه، خرِّقه، لبُقّه، مزقه، ريّقه، احرقه، واويلاه، واحجراه، واستاه، أولجه، قتلتني، ثم انخري، وازفري، وازحميه بعجزك، فإن هو أمسك عن الرهز فارهزي، فإن خرج أيره فخذيه بيدك وفُقّي باب استك وأدخليه، فإنه يظن ذلك منك على سبيل المجون، فإن تباطأ عن تريق ذَكَره، فخذي من فمك ريقاً فضعيه عليه ثم خذي رأسه بيدك اليسرى، فادلكي به باب استك ساعة، ثم أولجيه وازحميه بعجزك كله حتى يلج عن آخره في استك.

فإن هو قال لك في خلال إتيانه لك: أين هو منك؟

فقولي: في الاست ولا أخرجه ولو حبست.

فإن أعاد القول، وقال: أين هو؟ فقولي: في الغار.

فإن قال: ماذا يعمل؟ فقولي: يخاصم الجار.

فإذا قرب إنزاله، فأكثري النخير، ثم قولي: صبّه في اللبّة، اسكبه في الثقبة، غيبه في الرُّكبة، صبّه في الشرج، ففيه الشفاء والفَرَج.

فإذا أنزل فتطامني قليلاً وهو فوقك، حتى تنبطحي على وجهك، ولا تدعيه

161- يحدد ميلاد رابعة بنحو 100 للهجرة، وهذا يرجح أن هذه الرواية فيما لو صحّ نسبها لحُبَّى، فإن الذاكرة الشعبية أعملت في الرواية زيادة وإضافة لم يعرفها الأصل.

يقوم عن واحد، وارهزي تحته رويداً رويداً، كما وصفت لك ولا تخليه عن القيام عن أقل من ثلاثة أو أربعة، فإنك تُذهبين بذلك لبّه، وتجلبين قلبه.

ثم أتت بعلها، وقالت له: إني قد ذللت لك المركب، وسهلت لك المطلب، فاقبل وصيتي تحمد غب موعظتي.

قال: مُري بماشئت.

قالت: إذا خلوت بأهلك، فخذ فيما أردت من النيك الصلب، والرهز القوي، وثاوره مثاورة الأسد فريسته، فإذا صرعتها، فعوّل بالخمش، والقرص، وعض الشفتين، ثم شل رجليها على عاتقيك، ثم أدخل يديك من تحت بطنها حتى تجمعها من تحت إبطها، واقبض على منكبيها بأطراف أصابعك، ثم ارفع باطن ركبتيها بباطن منكبيك، ثم ضع رأس ذكرك بين شفريها، واجعل لسانك في فيها، ثم ادلك الشفرين دلكاً رقيقاً، ثم أولجه حتى يغيب عن آخره، فإذا قضيت فالصق العانة بشفريها، واستعمل في خلال ذلك النخير لتزيدها بذلك شبقاً وغلمة، وأجد الرهز من فوق، وترهزك من أسفل على الإيقاع، ولا تفتران حتى تصبه في حرّها، ثم تنعظ ثانياً، ثم كذلك ثالثاً قبل القيام، ثم قوما جميعاً فتنظفا بالماء، ثم ارجعا إلى فراشكما، فابطحها على الوجه، واقعد على فخذيها، وريّق ذكرك، وباب استها وادلك به الحلقة قليلاً قليلاً حتى تلين، وأولجه وتابع الرهز، وبالغ في الإيلاج حتى تصبه في استها، ثم ارهز رويداً، وترهز هي من تحتك حتى تقوم، فإذا قمت فأخرج يديك من تحت إبطها حتى تقبض على سرتها فتعصرها عصراً رقيقاً، ثم ارفعها إليك، وارتفع عنها قليلاً قليلاً حتى تصير باركة على أربعة، وارفع عجيزتها ومرها فلتخفض فتنها، وتشخص منكبيها، فإنها تنفتح عند ذلك انفتاحاً شديداً، ثم أولج في استها، وأجد الرهز، والنخير متبعاً لها، ولا تزال على ذلك حتى تعمل ثانياً وثالثاً، ولا تغفل أن يكون وطؤك في الاست نهاراً، فإنه أطيب، وألطف، وألذ، وأقر للعين، لأنك تنظر إلى ما تعمل.

وهذا الكلام، هو من كلام القدماء وأهل البدو.

كيف يأخذ الزوج الزوج؟

وقال الهيثم عن صالح بن حسان: قالت حُبَّى لبنات لها قد زوّجَتَهنَّ وبَنَتهُنَّ فجلسن معها ذات يوم في خلاء، فأقبلت على الكبرى فقالت: أي بنية، كيف أحَبُّ إليك أن يأخذك زوجك؟ قالت: يا أمه! يقدم من سفر فيدخل الحمَّام، ثم يأتيه زواره والمسلّمون عليه ثم يتغدى وأغلق الباب وأرخي الستر. فحينئذ آتي ما أرومه[162]! قالت لها حُبَّى مقاطعة: اسكتي أي بنية فما صنعت شيئاً.

فقالت الوسطى: بل يقدم من سفر فيضع ثيابه ويأتيه جيرانه والمسلّمون عليه. فإذا جاء الليل تَطيَّبتُ له وتهيَّأت، ثم أخذني على ذلك. قالت: ما صنعت شيئاً.

فقالت الصغرى: بل يكون في سفر، فإذا أقبل نحوي دخل الحمَّام وأطلى ثم قدم وقد شول[163]، فيدخل عليَّ فيغلق الباب ويرخي الستر، ثم يوافيني فيدخل أيره في حري ولسانه في فمي وإصبعه في استي، فينيكني في ثلاثة مواضع، قال: تقول حُبَّى: اسكتي يا بنية اسكتي! الساعة تبول أمك من الشهوة!

في الرهز والغنج والنخير

نصائح حُبَى في خلوة الحب[164]

قيل لحُبَّى المدنية: ما الذي يُستحب من المرأة عند الخلوة؟
قالت: أن يسمع لفرجِها صريراً، ولحلقها غطيطاً، ولخياشيمها نخيراً.

162- في الأصل: فثم حينئذ أي أمه... والتصحيح عن الراغب الأصفهاني في محاضرات الأدباء، فصل اختيار المرأة نوعاً من الجماع دون نوع: 265/3، ومن الكشكول للبهاء العاملي.

163- قبل أن يقدم بثلث فجاء فاضلاً، ثم قدم وقد شوك: في الأصل، وتسوك: في قصة الكشكول للبهاء العاملي.

164- جوامع اللذة، ص54.

خبر جِمال الخليفة عثمان التي تشتت بنخرة حُبَّى

ذُكِر عن حُبَّى المدنية أنها قالت: الغنج ما كثر فيه النخير، وطال في خلاله التنفس والزفير[165].

وقيل لحُبَّى المدنية: إن النساء قد أحدثن شيئاً. قالت: وما هو؟ قيل: النخير. قالت: والله لقد نخرت نخرة تحت رجل، فنفر منها ثلاثة آلاف بعير من إبل الصدقة في زمان عثمان بن عفان، فلا تلاقوا بها حتى الآن[166].

ولدى الجاحظ رواية مختلفة عن إبل عثمان:

كانت حُبَّى المدينية من المغتلمات[167]. فدخل عليها نسوة من المدينة، فقلن لها: يا خالة، أتيناك نسألك عن القبع عند الجماع يفعله النساء، أهو شيء قديم أم شيء أحدثه النساء؟ قالت: يا بناتي، خرجت للعُمرة مع أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه، فلما رجعنا، فكنا بالعَرْج نظر إليَّ زوجي ونظرت إليه، فأعجبه مني ما أعجبني منه. فواثبني، ومرَّت بنا عِير عثمان فقبعتُ قبعة وأدركني ما يصيب بنات آدم، فنفرت العير ـ وكانت خمسمئة ـ فما التقى منها بعيران إلى الساعة.

والقَبْع: النخير عند الجماع. والغربلة: الرهز. كذاك تسميه أهل المدينة. ويقال: إن حُبَّى علمت نساء المدينة القبع والغربلة.

وقال ابن طيفور في بلاغات النساء: قال الهيثم: قالت ابنة حُبَّى لأمها: يا أمه! إن زوجي يطلب إلي إذا جامعني أن أنخر، قالت: يا بنية انخري، فقد كانت أمك تنخر نخيراً تقطع منه قطرات إبل عثمان بن عفان، فلا تدرك إلا بذي المجاز[168].

165- جوامع اللذة، ص56.

166- جوامع اللذة، ص56.

167- رسائل الجاحظ كتاب مفاخرة الجواري والغلمان: 2/129-130.

168- بلاغات النساء، ص155.

وفي نزهة الألباب للتيفاشي: حكي عن حُبَّى المدنية[169]، وكانت من كبار السحاقيات، أنها قالت لابنتها: عليك بصحة الشخير عند الرهز، واعلمي أني نخرّت بالبادية نخرة أجفلت منها جِمال عثمان بن عفان، رضي الله عنه. فلم تجتمع إلى الآن.

يروي الميداني في أمثاله[170]: أن حُبَّى زوّجت بنتها، ثم سألتها عن زوجها، فقالت: أحسن الناس خُلقاً وخَلقاً، وأوسَعُهم رَحلاً وصَدراً، يملأ بيتي خيراً وحِري أيراً، غير أنه يكلفني أمراً صعباً، قد ضِقت به ذرعاً.
قالت حُبَّى: وما هو؟

قالت: يقول عند نزول شهوته وشهوتي: انخري تحتي!
فقالت: وهل يطيب نيك بغير رهز ونخير؟ جاريتي حرة إن لم يكن أبوك قَدِم من سفر، وأنا على سطح مُشرفة على مِربَد إبل الصدقة، وكلُّ بعير هناك قد عُقل بعِقَالين، فصرعني ورفع رجلي، فطعَنني طعنة نَخرتُ لها نخرة نفرت منها إبل الصدقة، فقطعت عُقُلها وتفرَّقت، فما أخذ منها بعيران في طريق. فكان ذلك أول شيء نُقِم على عثمان، وما كان له في ذلك ذنب. الزوج طعن، والزوجة نَخَرَتْ، والإبل نَفَرت، فما ذنبه؟

أيُّ الرجال أحب الى النساء؟

وقال الهيثم عن صالح بن حسان قال: جلس فتية من قريش معهم ابن لحُبَّى، وكانت حُبَّى أول من علّم أهل المدينة النخر والحركة والغربلة وشدة الرهز، قال صالح: وإنما أخذت ذلك عن سعدى بنت الحارث، قال صالح: فتذكروا أيُّ حالات الرجال أحب الى النساء أن يأخذوهن عليه، فقالوا لابن حُبَّى: ويحك! علم هذا والله عند أمك، قال: إذاً آتيكم والله بعلمه. قال: فأتى أمه فقال: يا أمه أي الحالات أعجب إلى النساء من أخذ الرجال إياهن؟ قالت:

169- نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب، التيفاشي، ص238.

170- مجمع الأمثال: 387/1 ـ مثل: أشبق من حُبَّى.

أي بنيِ! أما إذا كانت مثلي (تعني مسنَّة) فأبركها ثم خذها من خلفها، فإنك تدرك بذلك ما تريد وتبلغ حاجتها[171].

وفي رواية الجاحظ، قال ابن حُبَّى لأمه: يا أمه، أيُّ الحالات أعجب إلى النساء من أخذ الرجال إياهن؟ قالت: يا بني، إذا كانت مسنَّة مثلي فأبركها وألصق خدها بالأرض ثم أوعبه فيها. وإذا كانت شابة فاجمع فخذيها إلى صدرها فأنت تدرك بذلك ما تريد منها وتبلغ حاجتك منها[172].

قال عباس الدوري: سمعت يحيى بن معين يقول لحُبَّى المدنية: أيُّ الرجال أعجب إلى النساء؟ قالت: الذي يشبه خده خدها[173].

طبعاً من غير المنطقي أن يكون الحافظ بن معين التقى بحُبَّى المدينة، لأن ابن معين ولد سنة 158 وتوفي سنة 233 للهجرة، وتستقيم الرواية عندما نعلم أن ابن معين كان مجرد ناقل لهذه الرواية، ففي تاريخه يرد حرفياً عن يحيى ابن معين قال: قيل لحُبَّى ـ امرأة من أهل المدينة ـ: أيُّ الرجال أَعْجَبُ إلى النساء؟ قالت: الذين يشبه خدودهم خدود النساء[174].

171- بلاغات النساء، ص155-156.

172- رسائل الجاحظ، مفاخرة الجواري والغلمان: 131/2.

173- سير أعلام النبلاء: 93/11، قال الذهبي: يحيى بن معين ابن عون بن زياد بن بسطام، هو الإمام الحافظ الجهبذ، شيخ المحدثين، أبو زكريا، ولد سنة 158 للهجرة... والرواية نقلها الذهبي عن عباس الدوري، أبو الفضل البغدادي الحافظ، أحد رواة أخبار بن معين. (راجع أخباره في سير أعلام النبلاء: 522/12).

174- يحيى ابن معين وكتابه التاريخ: 198/3.

نوادر وطرائف حُبَّى

مهراس حُبَّى المشغول

قال إسحق الموصلي: أتت امرأة فيها عجمة، حُبَّى المدنية تسألها المهراس وزوجها يجامعها، فقالت: أعيرونا المِهراس، فقالت: اطلبيه من ابني فإن مهراسنا في الهاون مشغول[175].

حُبَّى وأشعب[176]

سمع أشعب حُبَّى المدينية تقول: اللهم لا تمتني حتى تغفر لي ذنوبي! فقال لها: يا فاسقة أنت لم تسألي الله المغفرة، إنما سألته عمر الأبد. يريد أنه لا يغفر لها أبداً[177]

حُبَّى لا تبالي شيطاناً التقت أم رجلاً

خرجت حُبَّى المدينية[178] في جوف الليل فلقيَها إنسانٌ فقال: أتخرجين في هذا الوقت؟ قالت: وما أبالي؟ إن لقيني الشيطان فأنا في طاعته، وإن لقيني رجل فأنا في طلبه!

175- بلاغات النساء، ص161، وردت أيضاً في محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني.

176- الأغاني، نسخة بولاق: 175/21، ديوان هدبة بن الخشرم، مقدمة المحقق، ص19.

177- الأغاني للأصفهاني: أخبار أشعب: 92/17، وردت في نهاية الأرب للنويري، فصل الإنسان وما يتعلق به. وأشعب بن جبير واسمه شعيب وكنيته أبو العلاء، كان يقال لأمه أم الخلندج، وقيل: بل أم جميل وهي مولاة أسماء بنت أبي بكر واسمها حميدة، نشأ بالمدينة في ديوان آل عثمان وتولت تربيته وكفلته عائشة بنت عثمان بن عفان.

178- التذكرة الحمدونية: 7/ 247، النويري نهاية الأرب: 24/4، نثر الدر لابن آبي.

تمنَّتْ أن يكون لها حِران ولزوجها أيران

يقول الجاحظ في كتاب الحيوان. فصل إعجاب الضبّ والعقرب بالتمر[179]:
أنشدني ابن داحة[180]، لحذيفة بن دأب عم عيسى بن يزيد[181]، الذي يقال له ابن دأب، في حديث طويل من أحاديث العشاق:

لئن خُدِعَتْ حُبَّى بِسبٍّ مُزَعفَرٍ[182] فقد يُخدع الضبُّ المخادع بالتمر

لأن الضبّ شديد العُجب بالتمر، فضرب الضبّ مثلاً في الخُبث والخديعة.

قول بعض العلماء في تناسل الضبّ: قال أبو خالد: قال أبو حيّة: الأصل واحد، والفرع اثنان، وللأنثى مَدخلان، وأنشد لحُبَّى المدنيَّة[183]:

وَدِدتُ بأنّه ضبٌّ وأني كضبَّة كُدْيةٍ وجَدَتْ خلاءَ

قال: قالت هذا البيت لابنها، حين عذلها، لأنها تزوّجتْ ابن أمّ كلاب، وهو فتى حدثٌ، وكانت هي قد زادت على النَّصَف[184]، فتمنَّتْ أن يكون لها حِرانِ ولزوجها أيران.

179- الحيوان: 61/6، والمعاني الكبرى لابن قتيبة الدينوري، الأبيات في الضب...

180- يقول عبد السلام هارون، محقق «الحيوان»: لم أعثر على ترجمة لابن داحة ولكن الجاحظ ذكره في البيان باسم إبراهيم بن داحة مع جماعة من الرجال. ثم قال: «وهؤلاء جميعاً مشايخ الشيع» أي الشيعة.

181- حذيفة بن دأت كان عالماً ناسباً. قال الجاحظ: «وفي آل دأب علم بالنسب والخبر»، وعيسى بن يزيد بن بكر بن دأب كان خطيباً شاعراً ناسباً، يضع الحديث في المدينة، وكان يضع الشعر كأحاديث السمر. (راجع هامش المحقق لكتاب الحيوان). وقال البلاذري في أنساب الأشراف: قتل حذيفة بن دأب يوم الحرة في أيام يزيد بن معاوية.

182- السُّبوبِ: وهي الثّيابُ الرِّقاقُ، الواحدُ سِبٌّ، والسَّبائبُ: جمع سَبِيبَةٍ وهي شُقَّة من الثّيابِ أيِّ نوعٍ كان؛ وقيل: هي من الكتّانِ. والمُزَعْفَر: المُلَوَّن بالزَّعْفَران. (راجع لسان العرب، شرح: سبب).

183- الحيوان، الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون: 75/6.

184- النَّصَف ـ بالتحريك: المرأة بين الحَدَثة والمُسِنّة. والنصَف من النساء: التي قد بلغت خمساً وأربعين ونحوها، وقيل: التي قد بلغت خمسين. (لسان العرب، شرح: نصف).

في رواية ياقوت الحموي في معجم الأدباء: أن حُبَّى المدنية قالت شعرها هذا «لما عذلها أبوها في تزوجها ابن أم كلاب»[185]، وليس ابنها.

حُبَّى تثّأر لذات النحيين[186]

قال مصعب الزبيري: جاءت حُبَّى المدنية الى شيخ يبيع اللبن ففتحت وطباً (هو سقاء اللبن) فذاقته ودفعته إليه، وقالت له: لا تعجل بسدّه، ثم فتحت آخر فذاقته ثم دفعته إليه. فلما شغلت يديه جميعاً كشفت ثوبه من خلفه، وجعلت تصفق بظاهر قدمها استه، وهي تقول: يا ثارات ذي النحيين[187] دونكم الشيخ. والشيخ يصيح وهي تصفق استه، قالوا: فما خلص منها إلا بعد كدّ.

سيكون لنا وقفة مطولة مع أسطورة «ذات النحيين» في كتاب آخر، ولكن يهمنا الآن أن نشير إلى أن حُبَّى أرادت بما فعلته مع الشيخ الانتقام لامرأة واقعها في الجاهلية خوات بن الجبير، الصحابي المعروف، دون رضاها، وقد اختلفت المصادر في اسم «ذات النحيين».

ومن حديثها أن خوات بن جبير الأنصاري في الجاهلية حضر سوق عكاظ،

185- معجم الأدباء، ياقوت الحموي: 1003/3.

186- بلاغات النساء، ص165، وردت أيضاً في نهاية الأرب للنويري: 24/4، نثر الدر، منصور بن الحُسين الآبيّ، فصل النساء المواجن، نكت من كلام النساء.

187- نزهة الألباب للتيفاشي، ص108: يا ثارات ذات النحيين والشيخ يصيح وهي تصفق استه وخصيتيه وقد اجتمع عليهما الناس يضحكون، فما خلص منها إلا بعد كد وجهد. وتروى هذه الحادثة بطريقة أخرى عن أم الدرداء، وقد وردت في أمثال العرب: يُحكى أن أمّ الدرداء العجلانية طلبت بثأرها. فشَغَلَت بائع سَمْن بسوق «خرْبة» باليمامة، وبَزَقَت في استه، وقالت: يا لثارات ذات النِّحيَيْن، يا لثارات النساء عند الرجال، يا لثارات الهُذَليّة عند خوّات! (راجع كتاب أمثال المرأة عند العرب).
فرائد اللآلئ في مجمع الأمثال: 327/1: تروى القصة عن أم الورد العجلانية خلال مرورها في سوق من أسواق العرب.

فانتهى إلى هذه المرأة وهي تبيع السمن، فأخذ نحياً من أنحائها، ففتحه ثم ذاقه ودفع النِّحي في إحدى يديها، ثم فتح نحياً آخر ودفع فمه في يدها الأخرى. ثم كشف ذيلها وواقعها، وهي غير ممانعته لحفظ فم النِّحْيَين، ولم تدفعه خوفاً على السمن حتى قضى حاجته. فلما قام عنها، قالت له: لا هنّاك الله. فرفع خوات عقيرته[188]، وقال:

وأمّ عـيـالٍ واثقين بكسبها	خَلجْتُ لها جارَ استها خَلَجاتِ
وأخرجته رَيّانَ يقطر رأسه	من الرّامكِ المخلوطِ بالمُغُراتِ
شَغَلْتُ يَدَيها إذ أردتُ خِلاطها	بنِحْيَينِ من سَمْنٍ ذوي عَجواتِ
فكان لها الويلات من ترك نحيها	وويلٌ لها من شدّة الطّعناتِ
فشدّت على النِّحْيَين كفّاً شحيحةً	على سَمْنِها والفَتْكُ من فَعَلاتي

فضربت العرب المثل فقالوا: أنكح وأغْلَم من خوّات، وأشغل وأشحّ من ذات النِّحْيَين.

188- ثمار القلوب، الثعالبي، ص293، وفي الهامش رقم 2: ملاحظة للمحقق من إحدى نسخ ثمار القلوب: وهي امرأة تسمى هداية.

عادة مصّ البظر عند العرب[189]

189- بلاغات النساء، ص155-156.

قال الهيثم بن عدي عن صالح بن حسان: جلست حُبَّى ذات يوم بين فتيات قريش، قال: فشهقت حتى كادت أضلاعها أن تتحطم.

فقلن لها: يا أمه ما لك؟ قالت: قتلت نفساً.

قال: فتشاهقن جمع، ثم قلن: أي أُمَّه! وكيف قتلت نفساً؟!

قالت: خرجت يوماً من الحمَّام فجلست في المسلخ أتوضأ ومعي بني لابنة لي، ومعه جروله، فأتاني، فدخل تحتي، فلما رأى حمرة شفري وحرّي لطعه بلسانه لطْعَة فاستلذذته، فزاد فلم أزل أدنو منه، وأمكنه حتى أدركني ما يدرك بنات آدم[190] فخررت عليه فما رفعت عنه إلا وهو ميت، فقلن يا أُمَّه، ما هذا عيب، ما هذه إلا مكرمة!

يبدو هذا الخبر مثيراً مستهجناً للوهلة الأولى، لا سيما أن الفتيات لم يستهجنّه بل اعتبرنه مكرمة، لكن عندما نعلم أن مصّ البظر كان عادة شائعة عند العرب، ثم تحول إلى ذم وشتيمة جرت على لسان العرب، هذا الرأي توصل إليه الدكتور صلاح الدين المنجد أحد أهم محققي التراث العربي، فهو يقول في كتابه «الحياة الجنسية عند العرب»: «كان مصّ البظر شائعاً. ويبدو أن بعض الأمهات كن يَدفعْنَ أولادهن إلى فعل ذلك بهن، ابتغاء اللذة، فالبظراء تجد لذة في ذلك». يضيف الدكتور المنجد: «وصار ذلك فيما بعد ذماً وشتماً، لذلك نجد من كان يُعيّر بمصّ البظر، فقيل يا ماصَّ بظر أمه»[191].

190- راجع أساس البلاغة للزمخشري «ب ظ ر»، راجع شرح «البظر» و«مَصِصْتُهُ» في القاموس المحيط، راجع شرح «مصص» في لسان العرب.

191- الحياة الجنسية عند العرب من الجاهلية، ص23.

تبدو عادة مص بظر الأم معروفة في الجاهلية. لأننا نجدها بكثرة في كلام العرب، حتى إنها دخلت عالم الأمثال كما لاحظنا، أكثر من ذلك نحت اللغويون العرب اختصارات للكلمة تدل عليها، يقول الزمخشري: ومن شتائم العرب: «علجة بظراء» و«أمصه الله بظر أمه». وعندما يقول أحدهم أن فلاناً «بظرم» فلاناً أو «بظرمه» فإن ذلك يعني أنه قال له: «أمصه الله بظر أمه» وهو مبظرم ومتبظرم. ويضيف الزمخشري في «أساس البلاغة» شرح (ب ظ ر) وفي المثل أيضاً: «يا ماصاً بظر أمه» أو «يا عاضاً بظر أمه».

يضيف الفيروز آبادي في القاموس المحيط: «يُمصُّهُ ويُبَظِّرُهُ. أي: قال له: امْصُصْ بَظْرَ فلانَة». ويضيف تقول العرب: «يا مَصَّانُ. ولها: يا مَصَّانَةُ: شَتْمٌ. أي: يا ماصَّ بَظْر أمّه». ويقالُ: «ويْلي على ماصَّانِ بنِ ماصَّانٍ. وماصَّانَةِ بنِ ماصَّانَةِ».

واللافت أن العرب تقول للرجل: «يا مصَّانُ. إذا كان يرضع الغنم من لُؤْمه».

ربما كانت عادة جاهلية، تماماً كمص الثدي للإرضاع للتبني أو للمؤاخاة. وربما كان مص البظر إشارة رمزية للتبني كونه المكان الذي يخلق منه البشر.

وإن صحَّ ما استنتجه الدكتور صلاح الدين المنجد من أن عادة «مص البظر» كانت عادة شائعة ثم تحولت إلى واحدة من «شتائم العرب» كما يقول الزمخشري، فذاك يتيح لنا أن نفترض أنها عادة ارتبطت بالربة اللات، وهي التي تجسد مفهوم الأم الكبرى عند العرب، ثم شتم بها «امصص بظر اللات»، وهي شتيمة بالغ بها العرب بأن شتموا ربتهم بدل أمهم.

جاء في صحيح البخاري: قال عروة بن مسعود لما جاء مفاوضاً عن المشركين في «الحديبية» للنبي صلى الله عليه وسلم: «فإنّي والله لأرى وجوهاً، وإنّي لأرى أَوْشَاباً من الناس خليقاً أن يَفِرُّوا ويَدَعُوك».

فقال له أبو بكرٍ : «امصُصْ بَظْرَ اللاَّتِ، أنحن نَفِرُّ عنه ونَدَعه؟».
فقال: من ذا؟ قالوا : أبو بكرٍ[192].

يعقب الحافظ ابن حجر العسقلاني في «فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري» على ما قاله أبو بكر (عضضت ببظر اللات): «البَظْر» ـ بفتح الموحدة، وسكون المعجمة: قطعة تبقى بعد الختان في فرج المرأة، و «اللات»: اسم أحد الأصنام التي كانت قريش وثقيف يعبدونها، وكانت عادة العرب الشتم بذلك، لكن بلفظ الأم، فأراد أبو بكر المبالغة في سب عروة بإقامة من كان يعبد مقام أمه، وحمَله على ذلك ما أغضبه به من نسبة المسلمين إلى الفرار .

وربما كانت عادة مصّ البظر مقدسة لترسيخ أمومة المرأة تجاه من هم ليسوا من أبنائها، من هنا يمكن أن نفهم اعتبار حُبَّى لما فعلته بأنه «عيب» في حين رأت الفتيات فيه «مكرمة». لقد ذهب الطفل ضحية للغريزة البشرية، لكن هذا لن يؤثر على «أمومة حُبَّى» لأهل المدينة، ونتذكر أن الجاحظ قال: «إنه لم يكن في الدنيا أهل بيت إلا وكانت حُبَّى تأخذ صبيانهم، وتمصّهم ثديها، أو ثدي إحدى بناتها، فكان أهل المدينة يسمونها حواء».

هنا نجد مفهوم «أمومة» مقدسة ارتبطت بهذه المرأة، لدرجة أنها لقبت بـ «حواء أم البشر» من خلال فعل «مصّ الثدي»، ويمكن أن تكون عادة «مصّ البظر» سبقت فعل «مصّ الثدي» الذي يمارس اليوم لأمومة المرأة تجاه من تلدهم، ومن هنا يمكن أن نقدم قراءتنا لعادة مصّ البظر التي شاعت في مرحلة ما على أنه طقس أمومي تحتوي فيه المرأة وتحتضن أبناء القوم على أنها «أم لهم جميعاً كحواء»، وهذا الطقس يتلخص في مصّ بظرها، وهو

192- جاء في صحيح البخاري: قال عروة بن مسعود لما جاء مفاوضاً عن المشركين في «الحديبية» للنبي صلى الله عليه وسلم: فإني والله لأرى وجوهاً، وإني لأرى أوْشَاباً من الناس خليقاً أن يَفرُّوا ويَدَعوك، فقال له أبو بكر: امصُصْ بظر اللاَّت، أنحن نَفِرُّ عنه ونَدَعه؟ فقال: مَنْ ذا؟ قالوا: أبو بكرٍ... (راجع المغازي للواقدي: 595/2).

المكان الذي يمثّل بديلاً رمزياً عن فعل الولادة، لأنه المكان الذي يخلق منه الإنسان أساساً، ثم أصبحت عادة «مصّ الثدي» التي استمرت حتى يومنا هذا بديلاً عن هذه العادة القديمة، وبالمقابل أضحت عادة «مصّ البظر» فعلاً «مقززاً ومعيباً» وليس «مكرمة» وأصبحت جزءاً أساسياً من شتائم العرب.

نقرأ في «العقد الفريد» لابن عبد ربه:

«قال ثُمَامة بن أشْرَس: دخل أبو العَتاهية على المأمون لما قَدِم العراق، فأمر له بمال، وجَعل يُحادثه، فقال له يوماً: ما في الناس أجهل من القَدرِيَّة، فقال له المأمون: أنت بصناعتك أبصر، فلا تَتَخَطَّها إلى غيرها؟ قال له: يا أميرَ المؤمنين، اجمع بيني وبين من شئتَ منهم. فأرسَلَ إليَّ، فدخلتُ عليه، فقال لي: هذا يَزعم أنك وأصحابَك لا حُجَّة عندكم. قلت: فليَسأل عمّا بدا له. فحرَّك أبو العتاهية يده وقال: مَن حَرَّك هذه؟ قلتُ: مَن ناك أمّه؛ فقال: يا أميرَ المؤمنين، شتَمني؛ قلت له: نَقضت أصلَك يا ماصّ بَظْر أمّه؛ فَضَحك المأمونُ؛ فقلت له: يا جاهل، تحرك يدَك، ثم تقول: مَن حَرَّكها؟ «فإن كان الله حَرَّكها» فلم أشتُمك، وإن كنتَ أنت المُحَرّك لها، فهو قَولي؛ قال له المأمون: عندك زيادةٌ في المسألة؟!»[193].

193- العقد الفريد: 221/2.

حُبَّى في أمثال العرب

اشتهرت حُبَّى في عالم الأمثال بـ «الشبق» وضربت بها العرب المثل في ذلك: «أشبق من حُبَى»[194]، وتناقلت كتب الأمثال الرواية ذاتها تقريباً عن سبب هذا المثل، كذلك فعل الميداني، والزمخشري، وأبو هلال العسكري وغيرهم، تقول الرواية: وهي ـ أي حُبَّى ـ امرأة مدنية كانت مزواجاً، فتزوجت على كبر سنها، فتى يقال له ابن أم كلاب، فقام ابنٌ لها كهل فمشى إلى مروان ابن الحكم وهو والي المدينة وقال: إن أمي السفيهة على كبر سنها، وسني، تزوجت شاباً مقتبل السن، فصيرتني ونفسها حديثاً، فاستحضرها مروان وابنها، فلم تكترث لقوله ولكنها التفتت إلى ابنها، وقالت: يا برذعة الحمار، والله ليصرعن أمك بين الباب والطاق، فليشفين غليلها ولتخرجن نفسها دونه، ولوددت أنه ضب وأني ضبيبة، وقد وجدنا خلاء، فانتشر هذا الكلام عنها، فضربت بها الأمثال.

فمن ضرب في الشعر المثل بها هدبة بن الخشرم العذري قال:

فما وجدت وجدي بها أمُّ واحد ... ولا وجدَ حُبَّى بابن أم كلاب
رأته طويل الساعدين عنطنطاً ... كما انبعثت من قُوة وشَبابِ

وكانت نساء المدينة تسمين حُبَّى «حواء أم البشر» لأنها علمتهن ضروباً من هيئات الجماع، ولقبت كل هيئة منها بلقب منها: القبع والغربلة والنخير والرهز، فذكر الهيثم ابن عدي، أنها زوّجت بنتاً لها من رجل ثم زارتها، وقالت: كيف ترين زوجك؟

قالت: خير زوج أحسن الناس خَلقاً وخُلقاً وأوسعهم رحلاً وصدراً، يملأ بيتي

194- أمثال الميداني: 387/1، المستقصى من أمثال العرب: 185/1-186-187، جمهرة الأمثال: 461/1، نهاية الأرب للنويري: 139/2، نثر الدر، التذكرة الحمدونية: 22/7.

خيراً وحري أيراً، إلا أنه يكلفني أمراً صعباً قد ضقت به ذرعاً.
قالت: وما هو؟
قالت: يقول عند نزول شهوته وشهوتي: انخري تحتي! (وفي رواية الزمخشري: غير أنه يكلفني النخير عند الجماع).
فقالت حُبَّى: وهل يطيب نيك بغير رهز ونخير؟ جاريتي حرة إن لم يكن أبوك قدم من سفر، وأنا على سطح مشرفة على مربد إبل الصدقة، وكل بعير هناك قد عقل بعقالين، فصرعني أبوك، ورفع رجلي وطعنني طعنة، نخرت لها نخرة نفرت منها إبل الصدقة نفرة، فقطعت عقلها وتفرقت، فما أخذ منها بعيران في طريق، فصار ذلك أول شيء نقم على عثمان، وما له في ذلك ذنب. الزوج طعن، والزوجة نخرت، والإبل نفرت، فما ذنبه؟
وفي فرائد اللالئ في مجمع الأمثال[195]:

وَزَيدُنَا أشبَقُ من حُبَّى ومن جُمَالَةٍ وأمرُهُ قَبلاً فُطِنْ

فيه مثلان، الأول: أشبق من حُبَّى، والثاني: أشبق من جُمالة، وهو رجل من بني قيس بن ثعلبة كان كثير الشبق... دخل على ناقة له في العطن باركة تجتر، فجعل ينيكها، فقامت الناقة وتشبث ذيله بمؤخر كورها، فأتت به كذلك وسط الحي والقوم جلوس. فجرت فيه هذه الأمثال، فقالوا: أشبق من جمالة، وأخزى من جمالة، وأفضح من جمالة، وأرفع مناكاً من جمالة.

195- فرائد اللالئ في مجمع الأمثال: 1/327.

مراجع البحث:

1- أخبار المدينة، محمد بن الحسن ابن زبالة (199 هـ)، جمع وتوثيق ودراسة: صلاح عبد العزيز زين سلامة، الطبعة الأولى 2003، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة ـ السعودية.

2- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تصنيف الإمام أبي عبد الله محمد بن إسحق، ابن العباس الفاكهي المكّي من علماء القرن الثالث الهجري، دراسة وتحقيق: د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار الخضر ـ بيروت، الطبعة الثانية 1994.

3- أساس البلاغة، تأليف: أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (المتوفى 538 هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1998.

4- أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، محمد رضا كحالة، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

5- الإصابة في تمييز الصحابة، لشيخ الإسلام وعلم الأعلام قاضي القضاة شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني العسقلاني المصري الشافعي المعروف بابن حجر (ت 852 للهجرة)، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

6- الأغاني، للإمام أبي الفرج الأصبهاني، بتصحيح الشيخ أحمد الشنقيطي، مطبعة بولاق ـ القاهرة، الطبعة الأولى 1285 هـ.

7- أمالي يموت ابن المزرع ـ ملف وورد، التحميل من مكتبة الوراق.

8- أنساب الأشراف، صنفه الإمام أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت 279 هـ)، دار الفكر ـ بيروت، الطبعة الأولى 1996.
9- الأنساب، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعان، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
10- البصائر والذخائر. لأبي حيان التوحيدي علي بن محمد بن العباس (... - 414 هـ)، تحقيق: الدكتورة وداد القاضي، دار صادر ـ بيروت، الطبعة الأولى 1988.
11- بيوت الصحابة حول المسجد النبوي الشريف، تأليف: محمد إلياس عبد الغني، طبع على نفقة المؤلف ـ المدينة المنورة. الطبعة الرابعة 1999.
12- بلاغات النساء، الإمام أبي الفضل أحمد بن طاهر الطيفور (المولود ببغداد سنة 204)، صححه وشرحه: أحمد الألفي، مطبعة ومدرسة والدة عباس الأول ـ القاهرة 1908.
13- تاريخ الخلفاء، تأليف: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار ابن حزم ـ بيروت، الطبعة الأولى 2003 م.
14- تاريخ الرسل والملوك، للإمام الفقيه المفسر المؤرخ أبو جعفر بن جرير الطبري (224 - 310 هـ) بيت الأفكار الدولية ـ السعودية.
15- تاريخ المدينة، ابن شبّه أبو زيد عمر بن شبه النميري البصري (173-262 هـ)، تحقيق: فهيم محمد شلتوت.
16- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، أبوالفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني العسقلاني (773-852 هـ)، المحقق: محمد علي النجار ـ علي محمد البجاوي، المكتبة العلمية.
17- التذكرة الحمدونية، تصنيف: ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي، تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر ـ بيروت، الطبعة الأولى 1996.

18- تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق، داود بن عمر البصير الأنطاكي 1008 هـ. طبعة بولاق 1921.

19- جوامع اللذة. علي الكاتبي القزويني. دار تالة. الجماهيرية العظمى.

20- تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، لحافظ العصر شيخ الإسلام أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني الشافعي (773 هـ - 852 هـ)، تحقيق: د. إكرام الله إمداد الحق، دار البشائر الإسلامية ـ بيروت. الطبعة الأولى 1996.

21- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للحافظ المتقن جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي (654 - 742 هـ). حققه: الدكتور بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الأولى 1988.

22- الثقات، للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (المتوفى 354 هـ)، طبع بمساعدة وزارة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الطبعة الأولى 1978.

23- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري (350 - 429 هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. سلسلة ذخائر العرب 57، دار المعارف ـ القاهرة.

24- الجامع لأحكام القرآن والمبيِّن لما تضمنه من السنة وآي الفُرقان، تأليف: أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت 671 هـ). تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 2006.

25- جمهرة الأمثال، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، ضبطه وكتب هوامشه ونسقه: الدكتور أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى 1988.

26- الجواري والقيان، الدكتور سليمان حريتاني، دار الحصاد ـ سورية، الطبعة الأولى 1997.

27- حواشي مختصر مغاني الأخيار، للشيخ بدر الدين العيني (ت 855 هـ)، اختصره الشيخ تراب رشد الله شاه السندي، طبعة دار الإشاعة ـ الهند.

28- الحياة الجنسية عند العرب من الجاهلية إلى أواخر القرن الرابع الهجري، صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد ـ بيروت، الطبعة الثانية موسعة 1975.

29- الحيوان، أبي عثمان بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، الطبعة الثانية 1965.

30- رسائل الجاحظ، أبو عثمان بن عمر بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، الناشر: مكتبة الخانجي ـ القاهرة 1964.

31- الخصائص الكبرى للسيوطي، عنوان الكتاب الأصلي: كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب، للإمام جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية.

32- ديوان هدبة بن الخشرم، تحقيق: يحيى الجبوري، دار القلم ـ الكويت، الطبعة الثانية 1986.

33- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (467 - 538 هـ)، تحقيق: عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى 1992.

34- زهر الأكم في الأمثال والحكم، للحسن اليوسي، حققه: الدكتور محد حجي والدكتور محمد الأخضر، معهد الأبحاث والدراسات للتعريب ـ المغرب، الطبعة الأولى 1981.

35- سير أعلام النبلاء، الإمام شمس الدين محمد بن عثمان الذهبي (المتوفى 748 هـ)، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة 11 ـ 1996.

36- الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد بن منيع الزهري 230 هـ، تحقيق: الدكتور علي محمد عمير، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة.

37- العقد الفريد، تأليف: الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق: الدكتور مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى 1983.

38- عيون الأخبار، تأليف: أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى 276 هـ، دار الكتب المصرية 1996.

39- فرائد اللالئ في مجمع الأمثال، لوحيد دهره وفريد عصره العلامة الفاضل السيد الشيخ إبراهيم ابن السيد علي الأديب الطرابلسي الحنفي نزيل بيروت تغمده الله بالرحمة والرضوان، طبع في المطبعة الكاثوليكية سنة 1312 هـ.

40- فن النكاح في تراث شيخ الإسلام جلال الدين السيوطي، جمع وتحقيق وتبويب: جورج كدر، دار أطلس ـ بيروت 2011.

41- الفهرست، ابن النديم، تحقيق: رضا تجدد، طهران 1971.

42- القيان، أبو الفرج الأصبهاني، تحقيق: جليل العطية، دار رياض الريس.

43- الكامل، تأليف: أبي العباس محمد بن يزيد المبرِّد، حققه: الدكتور محمد أحمد الدالي، طبعة مؤسسة الرسالة.

44- الكامل في التاريخ لابن الأثير، تاريخ ابن الأثير الإمام العلامة المحدث النسابة عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري الشيباني الشهير بابن الإثير (555 ـ 630 هـ) اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية.

45- الكشكول، لخاتمة الأدباء وكعبة الظرفاء الشيخ محمد بهاء الدين العاملي، منشورات مكتبة دار البيان ـ مؤسسة الزين ـ بيروت.

46- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للعلامة علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الخامسة 1985.

47- المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر أحمد بن مروان بن محمد الدينوري

القاضي المالكي (ت 333 هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن حزم ـ الطبعة الأولى 1998.

48- مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني، المتوفى سنة 518 هـ، تحقيق: محمد يحيى الدين عدب الحميد، مطبعة السنة المحمدية سنة 1955.

49- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، للإمام محمد بن مكرّم المعروف بابن منظور (ت 630 هـ)، تحقيق: روحيّة النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع الحافظ. دار الفكر ـ دمشق، الطبعة الأولى 1984.

50- مختصر نور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء، تأليف: أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزُباني، اختصار: أبي المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود الحافظ اليغموري، عني بتحقيقه: رُدولف زلهايم، دار فرانتس شتاينر بفيسبادن 1964.

51- المحاسن والأضداد، أبو عثمان بن بحر الجاحظ البصري (توفي 255 هـ)، دار مكتبة عرفان.

52- المحبَّر، للعلامة الأخبار النسابة أبي جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (توفي 245 هـ)، رواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، تحقيق: الدكتورة إيلزه ليختن شتيتر. طبعة دار الآفاق الجديدة.

53- المرصع لابن الأثير، بتحقيق المستعرب س.ف.ب سيبولد، الصادر في عام 1896 م.

54- المستطرف من كل فن مستظرف، لشهاب الدين الأبشيهي، طبعة دار الطباعة السنية 1285 هـ.

55- المستقصى من أمثال العرب، العلامة الأديب أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري المتوفى 538 للهجرة، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيد آباد ـ الهند 1962.

56- المعارف لأبي قتيبة الدنيوري، تحقيق: الدكتور ثروت عكاشة، ونشرته للمرة الثانية دار المعارف، سلسلة ذخائر العرب.

57- معجم البلدان، للشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، دار صادر ـ بيروت 1977.

58- معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة الثامنة 1997.

59- المغازي، محمد بن عمر بن واقد المتوفى 207 هـ، تحقيق: مارسدن جونس، عالم الكتب، الطبعة الثالثة 1984.

60- مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار، لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي ـ بدر الدين العيني 762 هـ ـ 855 هـ. تحقيق: أبو عبد الله محمد حسن، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 2006.

61- مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، تأليف: أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، دار ابن خلدون.

62- المنمّق، أبي جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي توفي 245 هـ، تحقيق: خورشيد أحمد فاروق، طبعة عالم الكتب ـ بيروت، الطبعة الأولى 1985.

63- نثر الدر، للوزير الكاتب أبي سعد منصور بن الحُسين الآبِيّ المتوفى 421 للهجرة. (نتائج البحث في الكتاب من موقع المكتبة الشاملة).

64- نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب، شهاب الدين أحمد التيفاشي 651 هـ، تحقيق: جمال جمعة، رياض الريس للكتب والنشر، الطبعة الأولى 1992.

65- نسب قريش، لأبي عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري، 156 ـ 236 للهجرة، عني بنشره لأول مرة وتصحيحه والتعليق عليه: إ. ليفي بروفنسال، دار المعارف، سلسلة ذخائر العرب.

66- نسب قحطان وعدنان لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، أحياه عبد العزيز الميمني الراجكوتي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ـ الهند 1936.

67- نهاية الأرب في فنون الأدب، تأليف: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت 732)، مجموعة محققين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 2004.

68- النوادر، العلامة الطبيب داود الأنطاكي، المكتبة الثقافية، طبعة أولى 2002.

69- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، لنور الدين علي بن عبد الله السمهودي (المتوفى 911 هـ)، حققه: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان.

70- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة الأولى 1993.

71- يحيى ابن معين وكتابه التاريخ، دراسة وترتيب وتحقيق: الدكتور أحمد محمد نور سيف.

المواقع الالكترونية:

72- مكتبة الوراق:

73- البحث على موقع المكتبة الشاملة:

74- البحث على موقع الباحث العربي ، وفيه خمسة معاجم عربية: لسان العرب، الصحاح في اللغة للجوهري، القاموس المحيط للفيروز آبادي، العباب الزاخر لصاحبه الحسن بن محمد الصغاني، مقاييس اللغة مؤلفه أحمد ابن فارس.

الفهرس



مكتبة الجنس في حياة العرب



هذه المكتبة

تهدف هذه المكتبة إلى إضاءة تراث سعى الكثيرون إلى تغييبه وحجبه عن الناس بحجّة «صون» المجتمع من أفكار قد تؤدي إلى إثارة غرائز الشباب؛ مع العلم أن الذين كتبوا أغلب كتب التراث الجنسي بعضٌ من كبار الفقهاء والعلماء والأدباء والأطباء.

ما يُطلق عليه «التراث الجنسي» كان حقلا من حقول العلم والمعرفة على مدى الألف الهجري الأوّل فكان «علم الباه» مختصا بالمعارف الجنسية وما يمتّ إليها، وكان يُنظر إلى الممارسة الجنسية على أنّها فنّ عُرف بـ«فن النكاح» وكان يتم تثقيف النساء بكل ما يمتّ إلى الجنس من علوم وفن وآداب، من الصحة إلى الجذب والغزل والغنج والدلال والممارسة الجنسية وأوضاعها وأوقاتها والنّافع والضّار فيها، ناهيك عن طرق الاهتمام بالجسد والجمال والزينة واللباس.

هذا الكتاب

قالوا: إنّ أشراف المدينة كانوا يجتمعون في سقيفة حُبَّى يسألونها وهي تجيب، وقالوا: إنّ فتيان قريش وفتياتها كانوا يجلسون إليها فيتحدثون عندها بكل صراحة وشفافية عن أحوال الرجال والنساء وفنون النكاح، وكانت هي تجيبهم دون حرج... وكانت نساء المدينة تسمّين حُبَّى «حواء أم البشر» لأنّها علمتهن ضروبا من هيئات الجماع، ولقّبت كل هيئة منها بلقب، منها: القبع والغربلة والنخير والرهز.

عن (الجاحظ، النيسابوري، الزمخشري، أبو هلال العسكري)

الغلاف: منير الشعراني